

موعد مع أفي



رواية
لى مون يول

Komea
Korean Middle East Association

ترجمة: كيم جونج ميونج
تحرير ومراجعة: طاهر البربري



رواية (موعد مع أخي) تعتبر من بين أعمال لي مون يول
الروائية القصيرة، إلا أنها أحد أدق أعماله في توثيق
الراهن الكوري على مستوياته المتعددة؛ فالرواية تصور
بمراة لقاء بين كاتب الرواية وأخيه المُتَخَيَّل غير الشقيق
في كوريا الشمالية. اللقاء الذي يكشف عن التبعات
الباهظة التي يتحملها الكوريون جراء الانقسام الإقليمي
والأيديولوجي بين الكوريتين الشمالية والجنوبية.
ومن الصعب بطبيعة الحال قراءة هذه الرواية بمعزل عن
الظروف التاريخية التي كُتِبَتْ في سياقها، أو بمعزل عن
الكاتب نفسه الذي تعلن سيرته الذاتية عن الكثير من
نقاط التماس بينه وبين روايته.



موعد مع أخى

المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور
سلسلة الإبداع القصصى

- العدد: ١٢٦٢
- موعد مع أخى
- لى مون يول
- كيم چونج ميونج
- طاهر البربرى
- الطبعة الأولى: ٢٠٠٨

هذه ترجمة رواية:

아우와의 만남

이문열

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع جمعية كوريا والشرق الأوسط والمركز الكورى
للثقافة العربية والإسلامية بمناسبة انعقاد منتدى كوريا والشرق الأوسط بالقاهرة
(أكتوبر ٢٠٠٨)

이 책은 사단법인 한국-중동협회와의 협력 하에 출판되었음.
한국-중동협회는 2008년 10월 카이로에서 제2차 한-중동포럼을
개최하였고 그 기간 중 출판기념회가 진행되었음.

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

موعد مع أخى

رواية

تأليف: لى مون يول

ترجمة: كيم چونج ميونج

تحرير ومراجعة: طاهر البربرى



٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

لى، مون يول
موعد مع أخى (رواية) تأليف: لى مون يول، ترجمة: كيم چونج
ميونج، تحرير ومراجعة: طاهر البربرى، القاهرة: المركز
القومى للترجمة، ٢٠٠٨م.

١٢٥ ص؛ ٢٠ سم

١- القصص الكورية

أ- كيم، چونج ميونج (مترجم)

ب- البربرى، طاهر (محرر ومراجع)

ج- العنوان

٨٩٥،٧٣

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٠٢٣٧

الترقيم الدولى: 977-437-911-X

طبع بمطابع شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب
الفكرية المختلفة إلى القارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها
هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

موعد مع أخى

بدا أن فشل أخى فى القيام بالرحلة لم يكن بسبب التغير المفاجئ فى ظروفه بقدر ما كان بسبب غموض الاتفاق بينه وبين مستر كيم. لقد تقدم مستر كيم إلى ببالغ الاعتذار لأنه خذلى للمرة الثانية، وأكد أن حدوث هذا يرجع إلى أنه يقوم بمثل هذه المهمة للمرة الأولى فى حياته. لقد جعلنى وجهه الهزيل الشاحب، وتلمله القلق، أعتقد أنه ليس وسيطاً محترفاً.

لقد تعيدت بالأمر، لأنه لم يكن يبدو صعباً، ولأنه كان بإمكانى استخدام بعض المال. غير أن الأمر لم يكن سهلاً كما تصورت. تعقيدات غير متوقعة تظهر، علاقات فعلية تختفى. لقد ضحيت بمبلغ من المال، فقط كى أصطاد بعض الاحتمالات. لذا، فقد مر نصف شهر بعد جنازته حتى اكتشفت مكان إقامة والدك. لكن هذه المرة، ليس ثمة خطأ. سوف يأتى أخوك، حتى لو تأخر يوماً أو اثنين".

تمهل مستر كيم بعد أن أخبرنى بكل ما تحتم عليه إخبارى به. أصابنى الملل. وشرع مستر كيم فى الحديث عن أحوال كوريا الشمالية؛ ربما لأنه أحس بما أُلْمُ بى من ملل. غير أنه لم يكن لديه الكثير، فلم يصف شيئاً على ما ذكره لى من قبل، أو على ما استطعت أنا جمعه من مصادر أخرى؛ فقد انصبت كل المعلومات

بصورة رئيسية على الحالة التى آل إليها اقتصاد كوريا الشمالية من
بؤس، ومدى التعاسة التى يعانيتها الناس، مع التأكيد الشديد على
المعاناة من فقر الغذاء. كان مستر كيم، مثله مثل الكوريين الآخرين
فى الإقليم الكورى المتمتع بالحكم الذاتى فى الصين، يعلن ما يعرفه
من معلومات عن الأمور فى كوريا الشمالية كنوع من إظهار
الصداقة أو الفوز بالخطوة لدى مواطنى كوريا الجنوبية. لكن ولسبب
ما ليس له علاقة بشخصه، بل بشخص زوجته التى قامت برحلات
متكررة إلى كوريا الشمالية كانت لديه بالفعل تكهنات أو نقولات
وثيقة الصلة بنقاط كنت أريد حقاً أن أعرفها.

هل يتكأ لأنه يريدنى أن أدفع له القسط الأخير من أتعابه؟
سألت نفسى، عندما أسرفنا فى مناقشة الموضوع كاملاً وجلسنا هناك
فقط، وكلّ منا لا يفعل شيئاً سوى مطالعة وجه الآخر. غير أنه لم
يكن لدى أية نية فى دفع ما تبقى من أجرته، حتى رغم ما ينطوى
عليه هذا من بخل. لقد سمعت ملاحظة يتداولها الناس بكثرة مفادها
أن السذاجة والأمانة لم تعد من سمات الكوريين. لكننى لم أكن أشك
فى أمانته بنفس درجة شكى فى قدرته.

لكنه فى الحقيقة لم يكن يحاول الحصول على ما تبقى من
أتعابه. فبينما كنت أجلس هناك فى صمت وقد أُلِّم بى الإجهاد، وأنا
أحاول أن أخفى ما أصابنى من سأم، تجرأ، بعد كثير من التردد: 'أنا

أعرف أن هذه ليست المرة الأولى لك في يان جى^(١)، لكنك قد ذهبت إلى كل هذه الأماكن. أريد أن آخذك في جولة حول المكان، إذا ما كانت هناك أماكن ترغب في رؤيتها^(٢).

إذن، فقد كان يتكأ رغبةً في عرض خدماته كي يدفع عني ما أصابني من الإحباط. لكن رغم تقديري لهذا العرض الكريم، فإن حالتي لم تسمح بقبوله. في رحلتي الأولى إلى بينجى في أواخر الثمانينيات، قمت بجولة في المنطقة استغرقت يوماً بأكمله، حيث زرت نهر الپيريان والبئر الشيرة في يونج جيونج^(٣). إضافة إلى عدم تحمسي لمشاهدة المكان أكثر من ذلك. في رحلات السفر بالبحر لا ينتابني الإحساس بالاغتراب إلا في اليوم الأول؛ أفقد الاهتمام بسرعة شديدة، وفي اليوم الثاني يعاودني الشعور بأنني بالفعل في كوريا.

بعد أن ودعته بكلمات مهذبة مفادها الرفض، طالعت ساعتى ووجدت أنها بالفعل كانت قد تجاوزت الحادية عشرة. لقد استغرق مستر كيم ساعتين ليخبرنى بما استطاع أن ينجزه في دقائق قليلة. سمعت أنه قد عمل في قسم العلاقات الدولية في إحدى مؤسسات الدولة، غير أن مهامه لا بد أنها كانت في غاية البساطة، طالما استطاع أن يضيع الكثير من الوقت في صباح أحد أيام عمله.

(١) يان جى هى إحدى المدن الكبرى في إقليم الحكم الذاتى الكورى في الصين. (المترجم)

(٢) مدينة كبرى المستعمرات الكورية في منشوريا في أوائل القرن العشرين. (المترجم)

لقد تعرفت على مستر كيم من خلال الدكتور ليو البروفيسور فى جامعة يان جى. قابلت الدكتور ليو فى السيمينار الذى حضرته العام الماضى، قضية تتطوى على قدر من التشابك فكانت حقاً ذريعة لمشاركتها الكوريين للتجول فى جبل باك دو^(٢). قام الدكتور ليو بقراءة بحث حول تاريخ الإقليم الشمال شرقى، وخاصة بوهاى^(٣). أدهشتنى شخصيته المعتدلة الصريحة أكثر بكثير من ثقافته وعلمه، لذلك سعيت إلى الارتباط به وأصبحنا صديقين.

عندما أخبرته، قبل يومين من رحلى إلى يانتاى، برغبتى فى زيارة نهر تيومان^(٤)، عرض مرافقتى على الفور، وذهبنا إلى جبل هايشان معاً. عندما عانقت عيناى أرض كوريا الشمالية عبر نهر تيومان، أحسست برغبة فى تناول الخمر، وبعد أن أصبحت ثملاً انتابتنى حالة من الوجد والعاطفة وانحنيت تبجيلاً واحتراماً لكوريا الشمالية من على ضفة النهر وأنا أبكى. وهكذا قمت بإحياء ذكرى والدى الذى كان لم يزل حياً - الشىء الذى كان يعدّ تدينسنا فى

(٢) جبل على الحدود الصينية الكورية الشمالية. والاسم يعنى جبل "الرأس الأبيض". وجاءت هذه التسمية لأن الجليد يغطيه طوال شهور السنة، وهو جبل مقدس بالنسبة لكثير من الصينيين. (المترجم)

(٣) دولة أسستها النخبة الحاكمة فى جوجاريو بعد خروجها إلى سيللا. الطبقة الحاكمة فى فوهاى تنحدر من أصول كورية، غير أن أغلبية سكانها من خيتان، لذلك بدأ المؤرخون الكوريون مؤخراً فى الاهتمام بدراسة فوهاى (٦٩٩ - ٩٢٦). (المترجم)

(٤) النهر الذى يشكل مع يالو الحدود الشمال كورية - الصينية. (المترجم)

الظروف الاعتيادية. عندما رآنى الدكتور لى فى حالة من الصمت، قال لى بعد أن استعدت هذونى:

‘لماذا لا تكلف شخصا بترتيب مقابلة لك مع أبىك؟ هناك من يستطيعون ترتيب مثل هذه المقابلات مقابل أجر ما. لابد أنه من الممكن إحضار أبىك إلى هنا، وبإمكانك المجيء إلى هنا فى زيارة فى وقت يتم تحديده’.

لقد سمعت بترتيب مثل هذه الأمور. فى الحقيقة، وكان مسعاى بالضبط هو تحرى هذه الإمكانية حتى إننى حدث عن طريقى لحضور السيمينار، الذى لم يكن، فى حد ذاته، ذا أهمية كبيرة بالنسبة لى. غير أننى كنت جباناً بشكل لم يمكنى من تجاهل التحذيرات الصارمة التى وجهتها لى هيئة التخطيط الأمنى^(١). لقد كنت قلقاً بشأن المغامرة فى أمر كهذا، لذلك طلبت من بعض الناس أن يعرفونى على أحد موظفى هيئة التخطيط الأمنى. وما إن فتحت الموضوع حتى قاطعنى الموظف بنبرة تعترىها صرامة حادة:

‘فى هذه المرحلة، ولأننا ما زلنا نتحرك بلا علاقات دبلوماسية مع جمهورية الصين الشعبية، فإن كوريا بإمكانها أن تفعل الكثير كما تحب فى يان جى. حتى على الرغم من أن الوكلاء التابعين لنا يقومون باصطحاب مجموعتك فى هذه الرحلة، فإننا لا نضمن أمنك

(١) الهيئة الكورية المماثلة للـ ‘سى اى ايه’. (المترجم)

حال شروءك فى مثل هذا الاتصال السرى. تصور أن قليلا من عملائهم السريين أتوا مع أبىك واختطفوك إلى كوريا الشمالية. هل تظن أنهم سيسمحون لك بادعاء أنك قد وقعت ضحية حادث اختطاف؟ وما الفائدة، حتى لو أصررت أنك أختطفيت؟ أقترح عليك الإقلاع عن الفكرة تماما. بالفعل ليس الوقت مناسباً بعد. لم تكن لنتيكت عن هذا الأمر بالإقناع لو لم تكن تتمتع بأية أهمية عندنا. إننا نطلب منك أن تتوخى الحذر، لأنك لو كنت تخطط لشيء من هذا القبيل ولم تفجح، فإن الأمر سيتجاوز حدود الكارثة لك ولأفراد عائلتك، ويتحول إلى ضربة قاسية لكوريا الجنوبية. نحن نقفهم أمنيته المُلحّة، لأن والدك فى الثمانين من العمر. ومن الطبيعى أن تتوق لرؤية أبىك قبل موته، ولو لمرة واحدة، ولكن هذا ينطوى على مخاطرة جسيمة لكل من لهم علاقة بالأمر. سوف نرى ما إذا كان بإمكاننا مساعدتك فى هذا الشأن، لذلك أرجوك، عليك بحضور السيمينار والعودة مباشرة.

هكذا أحبطت أمنيته قبل أن أحاول تحقيقها. لذلك، عندما مرت الأيام الخمسة الخاصة بـ "يان جى" فى سيمينار ممل ورحلة إلى جبل بىك دو، الذى كنت أعرفه من خلال الصور الفوتوغرافية، كان شعورى بالإحباط واللاجدوى طاغيا لدرجة أننى انفجرت باكيا فى ذلك اليوم.

وافقت على قبول اقتراح الدكتور ليو، كأننى شخص يصدق على عرض إجرامى. وأرسل مستر كيم هانجو إلى الفندق الذى أقيم فيه فى اليوم التالى. قيل لى إن زوجة مستر كيم كانت فى الأصل كورية شمالية تقيم فى يان جى حتى تزوجته. أبو مستر كيم - وحماته يعيشان فى شيون جين، لكن لزوجته ثلاثة أخوال، كانوا يعيشون فى ببونج يانج، وإيوجو، وهوريونج على التوالى. لقد قررت أن أعهد إليه بالمهمة بسبب حقيقة وجود علاقات وثيقة له فى تشيونج جين وببونج يانج. العنوان الذى كان فى رسالة أبى التى تسلمتها فى منتصف الثمانينيات كان يشير إلى ببونج يانج، ولكن أحد أقاربى من الكوريين المقيمين فى اليابان أخبرنى مؤخرا أنه قابل أبى فى تشيونج جين.

حسناً، كتبت كل الملاحظات التى عرفتتها عن أبى وأعطيتها لمستر كيم، ومعها ٣٠٠٠ دولار. اضطررت لاقتراض بعض المال من المشاركين الآخرين فى السيمينار كى أتمكن من تكوين المبلغ، الذى لم يكن يمثل أجر مستر كيم، بل التكاليف المتوقعة. وعدته بعشرين ألف يوان^(٧) كحد أدنى مقابل القيام بالمهمة، وأكدت له على تحملى لأية تكاليف إضافية، وبسبب الوضع الاجتماعى البارز لأبى، فإننى سأعوضه دون أدنى شك. وأصبحت شهادة الدكتور ليو على صدق الاتفاق بين الطرفين داعماً لإبرام التعاقد الرسمى.

(٧) اليوان: وحدة النقد الصينى. (المترجم)

ربما لأن الأجر كان مسيلاً للعب بالنسبة له، فقد خصنى
مستر كيم هو وزوجته بزيارة صباح يوم رحيلى من يان جى
ومنحنى ما تيسر من الوعود المشرقة المتفائلة. أخبرنى باحتمالية
تمكنه من لم شملى على أبى مع حلول ذلك الشتاء، الذى كان مقدمه
بعد شهرين، وأكد لى أننى سأستطيع مقابلة أبى بحلول الربيع القادم
على أقصى تقدير. كان الأساس الذى انبنت عليه هذه الحالة من
التفاؤل يرجع إلى استثناء الفساد بين موظفى كوريا الشمالية، وأن
الدولار الجبار باستطاعته شراء موظف متوسط الحال.

على الرغم مما أبداه كيم من ثقة، فإن التقدم الذى حققه كان
بالغ البطء. ولم أعول أو ألق بثقتى على تصورات المتفائلة، غير أن
إجازة الشتاء قد أتت ومضت دون أن أسمع عنه أو منه، وأتت إجازة
الصيف دون أية أخبار عن تقدم البحث.

لكن ولطالما كنت أخطط لشيء ينطوى على تحريم قانونى فى
وطنى، فلم تكن لدى القدرة للكتابة كى أستفسر عن سير المهمة أو
السعى باتجاه معلومات من خلال اتصالاتى. لذا فقد مر عام مشحون
بالليفة وفراغ الصبر. ثم عادت العلاقات الدبلوماسية بين الجمهورية
الكورية والصين، مما زاد من حدة ضجرى. قصدت أن المخاطرة
التي قد حذرتنى منها هيئة التخطيط الأمنى لم يعد لها محل من
الإعراب.

ثم أبلغنى الدكتور لو، الذى قام بزيارة إلى سول فى يناير من هذا العام تلبيةً لدعوة أحد أقاربه، أبلغنى بأنباء غير متوقعة.

‘معدرة، لقد سمعت بموت أبيك فى الصيف الماضى. وقد أبلغنى مستر كيم مؤخرًا جدًا. يبدو أن زوجته كانت مريضة لبضعة أشهر مما دعاه لتأخير البحث فى المهمة التى أسندتها إليه، والآن يشعر بعميق الذنب لأنك خسرت فرصة مقابلة أبيك بسبب تقاعسه لدرجة أنه كان يتحاشانى. ويبدو أنه قد أنفق كل ما أعطيته من مال فى قيامه برحلات إلى كوريا الجنوبية ومحاولة إقامة اتصالات وهكذا’.

ثم طرح اقتراحًا جديدًا، ربما كان من بنات أفكاره هو شخصيًا، أو ربما كان الاقتراح فكرة مستر كيم.

‘مستر كيم فى حالة من القلق الآن بخصوص إعادة النقود التى أعطيتها إياه، لأنه لم يستطع تدبير المقابلة. لكن كيف له أن يجد مبلغًا كهذا كى يرده لك؟ لذلك، فكرت — ما رأيك فى أن تقابل أحد إخوتك، بدلاً من أبيك الذى لن تستطيع الالتقاء به أبدًا؟ يبدو أن لديك من الإخوة القليل’.

بصراحة، كان الاقتراح الجديد الذى طرحه على الدكتور ليو بعيدًا تمام البعد عن أمنياتى فى هذا الوقت. ربما كان ذلك لأننى قُهرت بحالة من الخواء؛ لأن نصف قرن من مشاعر الحب

والكراهية والحنين والامتعاض جميعها بدت وقد تبخرت. كيف
يستطيع باعث اشتياقي وامتعاضى، الذى لم يزل يظهر أمامى فى
صينغ وأشكال كثيرة، رغم أنه لم يعد بهذه القوة الجبرية مثلما كان فى
سنوات مراهقتى وشبابى، أن يخفى مثل عصفه ربح؟

بالطبع، كان تقدم أبى فى السن هو ما جعلنى فى حالة شديدة
من اللهفة لرؤيته. غير أن موته لم يكن واقعياً أو مُصدّقاً عندى.
اعتقد أن السبب فى هذا هو أن الصورة التى اخترنتها لأبى فى
مخيلتى كانت تظهره شاباً فى منتصف الثلاثينيات من العمر.

ظللت أفكر فى موت أبى بعد عودتى إلى البيت دون أن أرد
على اقتراح دكتور ليو بالإيجاب أو النفي. كانت هناك قرارات كثيرة
وثيقة الصلة بوفاة أبى لابد أن أحسمها، بدايةً من أهمية نقل الخبر
إلى أمى من عدمه، وصولاً إلى الطقوس التى ينبغى على أن أقوم بها
كأبن أفقده الموت أباه.

أمى لم ترد ذكر أبى أبداً منذ أن علمت، فى منتصف
الثمانينيات، أن له خمسة أطفال من زوجته الثانية فى الشمال. لابد أن
خصوبة أبى هذه قد اعتبرت نوعاً من الخيانة لها، وهى التى، بعد أن
أطاح بها ارتداده عنها إلى المؤخرة فى سن الثالثة والثلاثين، قد
حافظت على عفتها دون شائبة واحدة تلطخ شرفها، وكرست نفسها

تمامًا لتربيتنا، نحن، أطفالها الثلاثة. إذن، ما معنى موت أبى بالنسبة لها؟

لم أكن أيضًا على يقين من الطقوس التى يتوجب على أداؤها كابن أكبر لأبى. أينبغى على أن أنصب مقصورةً لروحه وأرتدى ملابس الحداد، رغم أنه قد فات أوان هذه الممارسات؟ كيف أقوم بتحديد نهاية فترة الحداد الخاصة به، وهل يصح لى أن أحبى الذكرى السنوية لوفاته فيما بعد، وهل من الأفضل لى أن أدعو لشعائر صلاة للترحم على روحه فى معبد بوذى أم كنيسة مسيحية؟ وما الذى ينبغى على القيام به حيال وثيقة الإقامة التى تفيد أنه لم يزل حيا؟ هل سيعتبر إبلاغى عن موته قانونيًا؟ هل ينبغى إبلاغ مجلس العشيرة، الذى يقوم الآن بإعداد كتاب فى علم الأنساب حول الفرع الذى انحدر منه فى العشيرة؟ أم هل على أن أنتظر حتى يتسم الكبار بقدر كاف من الليبرالية تمكنهم من استيعاب فكرة ضم أقاربى إلى الشمال فى شجرة النسب؟

لكننى لم أستطع اتخاذ قرار بشأن أى من هذه المسائل. إن موت أبى فى حد ذاته مجرد تقولات، وليس بإمكانى حتى أن أتيقن من حقيقة وفاته، لعدم وجود معلومات عن ظروف وفاته ولا حتى تاريخ وفاته بالضبط. فى هذه الحالة، إلى من أتوجه بالإبلاغ عن موته، وأى طقوس أستطيع القيام بها لتبيان هذه الوفاة؟ خطر ببالى حتمية إبلاغ أمى، لكننى لم أكن على يقين من هذا أيضًا. إن أمى

تعلن بوضوح عن أعراض الإصابة بمرض الزهايمر منذ بداية الشتاء، وليس هناك ما ينبئ عن ردة الفعل الغربية التي يمكن أن يثيرها مثل هذا الخبر عندها.

قررت أنه يتحتم عليّ أن أعرف الحقائق والظروف بدقة قبل أن أتمكن من اتخاذ أية خطوة، وحينئذ فقط شعرت بالحاجة إلى مقابلة أخي، رغم أنني تجاهلت الاقتراح حينما طُرح عليّ لأول مرة. حتى حينئذ، كان أنسبائي عبارة عن أفراد يكتنفهم الغموض أقابلهم إذا ما اتحدت بلادي ذات يوم، لكن الآن فإن أحدهم سوف يدخل حياتي بشحمه ولحمه.

لذا أخبرت دكتور ليو بأنني سأقابل أخي، وفي غضون أقل من شهرين تلقيت رسالة من مستر كيم يخبرني فيها أن أتجه إلى يان جي في موعد محدد. لم تصلني الرسالة، بطبيعة الحال، في صيغة مباشرة، غير أن كلمة الشفرة في رسالته الحميدة أشارت بما لا شك فيه إلى هذا الموعد.

تعجلت لحجز رحلة إلى يان جي، على الرغم من توقيتها في منتصف الفصل الدراسي. لكن حتى بالرغم من وجود علاقات دبلوماسية، لم يكن من السهل الحصول على تأشيرة رحلة شخصية. إضافة إلى أن مقابلة أحد مواطني كوريا الشمالية كان أمراً ينطوي على شيء من المخاطرة، لأن العداء بين نظامي الحكم يمكن أن

يتفاهم ومن ثم يمكن اتهامى بإقامة اتصالات سرية مع دولة معادية. لذلك قررت أن أرفض فكرة السفر بنفسى، وبالصدفة اكتشفت فرصة السفر فى رحلة لمدة سبعة أيام وثمانى لىال تتوقف فى يان جى فى الطريق إلى جبل بيك دو. صادف وجود رحلة تتناسب مع خطتى، لذلك غادرت سول كفرد فى رحلة جماعية.

كنت قد دخلت فى حالة من الصد من جراء ما تكشف لى من إلماحات حتى تركنى مستر كيم، وأنا أمعن التفكير فى رغبتى فى الخلاص من اهتمامه الفائق بى الذى أثار سأمى. لكن عندما تركت وحدى، أدركت مدى حاجتى الملحة للراحة. كنت مرهقاً إلى حد ما بعد بضعة أيام قضيتها فى زيارة الأماكن السياحية، التى لم تكن مثار دهشة أو إبهار بالنسبة لى، غير أن الشعور الأكبر بالتعب كان سببه ضغط الاستعداد العقلى للقائى بأخى.

بعد أن قررت السفر إلى يان جى لمقابلة أخى الأصغر غير الشقيق للمرة الأولى — والذى كان غريباً عنى تماماً والذى نشأ وكبر وعانق سن رجولته فى ثقافة مختلفة تماماً عن تلك التى نشأت فى كنفها — أعددت سيناريو مفصلاً ومثيراً للمشاعر لإدارة الموقف.

لكن، إلى حد ما، عندما مر الوقت وحانت ساعة اللقاء، بدأت حالة من الشعور بالتورط والشذوذ الذى ينطوى عليه الموقف تغزو عقلى، وتناقصت تقى فى القدرة على إدارة لم شمل يحرك المشاعر.

حتى إننى فى الليلة الماضية ظلت أتقلب فى فراشى وأتداول الأفكار وأعيد تنقيح السيناريو الذى كان معتورا بالكثير من الفجوات والثغرات. ثم انتابت ععلى حالة من الخواء ذلك الصباح. أعتقد أن هذا كان راجعا إلى الإرهاق الععلى المتراكم. لذلك شعرت بطريقة ما بشيء من الراحة عندما علمت بعدم وصول أخى، ولم أكن أتوق إلى شيء أكثر من قسط كبير من الراحة.

أغلقت الستائر واستلقيت فى سريرى، معتقدا فى إمكانية فوزى بساعتين من النوم العميق قبل أى شيء. قال لى دكتور ليو بأنه سوف يأتى فى الثالثة، لذا فينالك ما يكفى من الوقت لقبلولة جميلة. اتصل بى مبكرا صباح ذلك اليوم واعتذر كثيرا عن عدم تمكنه من المجيء فورا، بحجة اضطراره إلى إعداد شيء ما مع مجموعة من الناس من كوريا الجنوبية.

لكننى لم أستطع الفوز بالنوم الذى كنت بحاجة إليه. دخلت فى نوبة من النوم الخفيف، وأيقظتنى جلبنة ضئيلة ولم أتمكن من العودة إلى النوم بغض النظر عن محاولائى القوية للنوم. ولأننى كنت فى رحلة سياحية مرتفعة التكاليف، فقد بدا أن النوم فى غرفة بفندق فى وضح النهار يعتبر تبديدا فادحا.

ومع عدم قدرتى على النوم أو الراحة، غادرت غرفتى واتجهت إلى الكافيتيريا فى الطابق الأرضى. فكرت أننى سأقوم بعدنذ

بجولة حول المدينة كي أرى التغيرات الكثيرة التي حدثت بها، ثم أتناول الغداء في أحد المطاعم الكورية.

وعلى عكس المدن التي مررنا بها، كانت الكافيتيريا تقوم بمهمة منعشة. ولأنه فندق مُعد خصيصاً لسائحي كوريا الجنوبية، بدا أن معظم زبائنه الدائمين من كوريا الجنوبية وأقاربهم وأصدقائهم في المنطقة ومن يأتون لرؤيتهم. جلست على طاولة شاعرة وطلبت فنجان قهوة. لكن وقبل أن تصل قهوتي، لمحني رجل، كان قد نهض توّاً بعد حديثه مع أحد الضيوف، وتقدم باتجاه طاولتي.

«آه! أنت لم تذهب إذن إلى البحيرة»^(٨)؟ حسناً، لا أظن أن هناك شخصاً يعرف أحداً لم يرها من قبل، تلفظ بهذه الكلمات سريعاً وجلس قبالي دون أن يستأذن مني. كان أحد أفراد الرحلة الجماعية. لقد عرفته بسبب ثروته. واندعشت لأنه لم يلحق بالرحلة المتجهة إلى البحيرة.

«نعم، لقد رأيته في ربيع العام الماضي».

«إذن لا بد أنك أتيت هنا في زيارة عمل. لماذا التحقت بهذه الرحلة، ما دامت التأشيرات التجارية ليست صعبة هذه الأيام؟» لم تكن لدى أية رغبة في عدم خداعه، لذلك قلت:

(٨) البحيرة هنا تشير إلى بحيرة تشيون جي على جبل بيك دو، وهي بحيرة فوهة بركانية ذات أبعاد هائلة ورائعة الجمال. (المترجم)

‘آه! مهامى التجارية ليست ذات بال كى أتحدث عنها. لقد فكرت فى قيامى بمشاهدة بعض المزارات السياحية وأقوم بأداء بعض المهام التجارية أثناء وجودى هنا. حسناً، ما الذى دفعك للانضمام للرحلة؟’ سألته ليس بدافع الفضول الجاد بل لأتجنب الحديث عن الغرض من رحلتى. لكن بدا أن الرجل مثلى لم تكن لديه الرغبة فى الإفصاح عن أسباب عدم ذهابه إلى البحيرة.

‘نفس الأمر تماماً بالنسبة لى. لدى بعض الأعمال، هذا حقيقى، لكنها مهام ليست جديرة بالذكر. ولم تكن هناك رحلة مباشرة من سول إلى يان جى أيضاً. ولم أكن قد رأيت جيلين وزيان الواقعتين على خط الرحلة،’ أوضح الرجل بسرعة. كان فى غاية الحذر مقارنة برجل ثرثار. وهذا أثار فضولى. ما الذى جعله ينفصل عن الفوج؟ لكنه غير الموضوع، كى يتجنب توجيه المزيد من الأسئلة له.

‘حسناً، هذا يبهر تخلف ثلاثتنا. كنت أظن أننى فقط ورجل الاتحاد هما من تخلفا عن الذهاب مع الفوج.’

كنت أعرف أن “رجل الاتحاد” يجلس خلفنا. وقد اكتسب اسم شهرته هذا من كثرة ما تحدث عن الاتحاد. لقد صنع من نفسه شخصية بارزة بين أفراد الفوج بنوع آخر من الثروة مختلفة عن ثروة هذا الرجل ذى المهام التجارية المزعومة. كان حديث الرجل

الآخر ينصب على رثاء المجد الفانى لوطننا وأمتنا. كلما وجد فرصة فى لفت انتباه شخص ما، يحاول إحياء وإلقاء الضوء على هذه الأفكار.

‘انظر، هذه الأرض التى تقف عليها الآن هى إحدى المقاطعات القديمة من بيك جى^(٩). وكانت تنتمى إلى مستعمرة جينب يونج عندما قامت بيك جى بضم مستعمرتى يوس يو وجينب يونج إلى الصين الحالية. إن سهول الصين الوسطى كلها كانت ضمن أراضينا، قبل أن تنتقل إليها سلالة هان،’ كانت كلماته الأولى وهو يغادر الطائرة فى بكين. وفى المدينة المحرمة أيضاً، ترنم قائلاً: ‘كان ينبغى على يى سيونج جى^(١٠) أن يندفع ويتوغل فى الأراضى الصينية بدلاً من التقيقر للخلف بقواته. حينئذ، كانت هذه المدينة المحرمة ستؤول لنا. هل تعتقدون أن المنشوريين قد قاموا بغزو الصين لأنهم كانوا أقوياء؟ لقد استطاع نورها تشى أن يقهر مينج

(٩) بلدة موجودة فى كوريا، فى الجزء الأوسط والجنوب غربى من شبه الجزيرة من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن السابع بعد الميلاد: إحدى الممالك فى فترة الممالك الثلاث. إن الحقائق الخاصة بآثر بيك جى على اليابان ودورها فى تشكيل الثقافة اليابانية تعد من الثوابت المعروفة. ظهر فى الأفق مؤخراً عدد من الإشارات التى تشير إلى أن إقليم بيك جى يشتمل على أجزاء كثيرة من الصين، غير أنها لا تعد من بين الحقائق التاريخية المعتمدة. (المترجم)

(١٠) كان يى سيونج جى قائداً عسكرياً لجورى يو ديناستى وأصبح مؤسس يى ديناستى بالانقلاب على جورى يو ديناستى. (المترجم)

بثلاثين ألف رجل فقط. كان بإمكان يى سيونغ يى أن يقهر الصين بمنتهى السهولة بجيش قوامه خمسون ألف رجل قبل مائتي سنة من الآن.

أعتقد أن الرجل كان مطلعاً بدقة على كتب تاريخ قديمة مثل *هواندان جوجى*، ومثل هذه النظريات الخاصة بكوريا القديمة "بيريو بيك جى"، و الـ "إمنا ديمادو" التى تقول بأن أسلاف الكوريين كانوا يحكمون جزءاً كبيراً من شمال شرق آسيا. لقد ظفر باسم شهرته "رجل الاتحاد" باستغراقه فى خطب منبرية مطولة ترمى إلى الإعلان والتذكير بالمجد البائد لكوريا القديمة وينتهى بالتأكيد على أهمية تحقيق الوحدة كخطوة أولى باتجاه استعادة ماضى الأمة المجيد. إن عنف خطبته المطولة تفاقم عندما وصل الفوج إلى يان جى.

انظروا إلى هذا المنظر الطبيعي. ألا يشبه المناظر الطبيعية فى بلادنا؟ إننى أقول إن هذه الأرض لابد أنها تنتمى إلينا، ليس فقط لأن الكثير من أبناء بلادنا يعيشون هنا، ولكن لأنها لا تشبه الصين فى أى شيء على الإطلاق. هذه القطعة من الأرض تمتزج وتتألف مع أى جزء من جيونج سانج - دو أو تشانج تشيونج - دو^(١١).

'ليس ثمة نهاية للجرائم التى ارتكبتها اليابانيون ضدنا. إن الأمر لم يتوقف فقط عند سلبهم لأراضيها، ولكنه بلغ مداه عندما

(١١) مقاطعات فى كوريا الجنوبية. (المترجم)

أعادوا جانكو^(١٢) بناءً على ما أسموه معاهدة جانكو. بإمكاننا أن نعيد هذه الأرض إلينا بهجرة ما يكفي من السكان منا للعيش هناك للأبد.

فى هذا السياق استمرت خطبته المطولة خلال رحلة الباص من مطار يان جى إلى الفندق. ثم أعلن، ليلة أمس على طاولة العشاء، وكأنه أحد كبار الساسة فى المنفى:

‘أنا لن أذهب غداً إلى البحيرة. فالبحيرة ستكون فى مكانها عندما أعود بعد الوحدة. سوف أقضى اليومين هنا مع السكان الكوريين فى هذه المنطقة الذين يعرفون كوريا الشمالية جيداً، لأرى ماذا بإمكانى أن أفعل كي أعجل بالوحدة’.

لابد أن الأمر بدا فى نظر الآخرين من أفراد الفوج أنه ينطوى على سذاجة لا تُطاق. لكننى تبينيت وجهة نظر يسميها الترفق به. حقيقى أن السذاجة تُستقبل على أنها غباء أو عدم نضج، ولكن السذاجة تستطيع أحياناً أن تحرك المشاعر بسبب ما تحمله فى داخلها من عاطفة نقية. تستضيف جامعتى، بين الحين والآخر، محاضرين لإلقاء محاضرات عن الوحدة أثناء المهرجانات الطلابية والسمينارات، قليلون جداً منهم تعترتهم نفس سذاجة جماهيرهم من الطلاب الجدد أو طلاب الفرقة الدراسية الثانية.

(١٢) إقليم فى مانشوريا هاجر إليه عدد كبير من الكوريين بحثاً عن لقمة العيش فى بداية القرن العشرين. (المترجم)

لذلك، فإن رجل الوحدة هذا لو لم يلق خطبته بين أفراد فوج سياحي معظم أفراداه قد تجاوزوا منتصف العمر، وألقاها في دائرة من الطلاب ذوى الاتجاه القومى فى أحد المهرجانات الجامعية، لاستطاع أن يحرك مشاعر جماهيره بقوة. لهذا نزعنا إلى أنه قد عكف على دراسة مشاكل الوحدة لوقتٍ طويل وأن لديه بعض الأنشطة المحددة التى خطط للقيام بها فى يان جى.

وكان رجل الوحدة سبباً فى أن أدفع نفقات إضافية للإقامة فى غرفة بمفردى أثناء وجودنا فى يان جى؛ فقد أكدت شركة السياحة على أن أنقاسم غرفة مع رجل الوحدة هذا، وذلك لتقليل النفقات. لم أكن أريد ذلك. لم أكن أريده أن يكتشف سبب تخلفى عنه، ولم تكن لدى رغبة فى أن أكون شاهد عيان على أنشطته التى ربما كانت مخالفة للقانون الراهن فى كوريا الجنوبية. كان من الممكن حتى أن يتصادف تورطنا فى الممارسات غير القانونية لبعضنا البعض، مما كان سيفضى إلى عواقب وخيمة لكلينا. حسناً، بدا أن رجل الأعمال هذا قد أقام فى غرفة مشتركة مع رجل الوحدة.

‘لقد كان ينبغي أن أطلب الإقامة معك فى نفس الغرفة لو كنت أعرف أنك ستتخلف أيضاً عن الذهاب. إن عملية الوحدة تلك مزعجة للغاية!’ قال رجل الأعمال، وهو يلوى رأسه لأعلى. عندما سمعت رد فعل شخص آخر حيال الرجل ذى النزعة القومية الجادة، أصبحت فى حالة من الفضول لمعرفة كيف قام الأخير بعمله. كنت

دائمًا أساءل عن نوعية الناس التى لا تمثل لها الوحدة مجرد إمكانية مجردة بل ضرورة واقعية، ويعرف ما الذى ينبغى القيام به وفى أى ترتيب كى تتحقق الوحدة.

‘حسنًا، على أية حال، ما الذى يفعله من أجل الوحدة؟’

‘مجرد كلام، كلام، كلام. ماذا بعد؟ مجموعتان قامتا بزيارته هذا الصباح، وكلتا الجلستين كانتا تشبهان الاحتشاد السياسى. كانوا يعلنون أن كلا الجانبين لابد أن يتجاوزا حائط الأيديولوجيا عبر إدراك هيمنة القومية ووحدة الدم.’

‘من أى نوع من الناس كانت تتكون المجموعة؟’

‘حسنًا، بدا أنهم أناس يتمتعون ببعض الصيت هنا فى يان جى، من الأساتذة الجامعيين والكتاب. كانوا يلتقون برجل الوحدة لأول مرة، لكنهم كانوا قد التقوا من قبل بآخرين من هذه المنظمة التى يعمل معها. بالتأكيد كان مضحكًا أن ترى صديقنا وهو يتكلم بحماس، تمامًا كأنه كان يتحدث إلى بعض ممثلى حكومة ما فى المنفى. قال أشياء شبيهة بما تسمعه فى محطات الإذاعة الكورية، من طائفة أنه ينبغى عليك تهميش الكولونىاليين الجدد كى تحقق الاستقلال الحقيقى، ونمزق خونة القومية لكى تدفع بعجلة الوحدة إلى الأمام. أنا خائف من اضطرارى لكتابة تقارير عن أنشطته أمام المحكمة، شكرًا لاشتراكى معه فى الإقامة فى الغرفة لمدة يومين.’

كان رجل الأعمال متحدثًا مفعماً بالحيوية. كنت أستحثة على الكلام بينما كان يحاول ألا يكشف عن عميق اهتمامه بالأمر.

‘حسناً، أعتقد أن تلك الأشياء مهمة لتحقيق الوحدة، إذا ما تأملنا الطريقة التي تتعامل بها الولايات المتحدة منذ سقوط روسيا’.

‘لا، ربما كان صديقنا يتحدث في الفراغ. ضيوفه لم يكونوا مهتمين فعلاً بالوحدة. لقد بدوا فقط كأنهم يسعون إلى إقامة علاقة مع كوريا الجنوبية، حتى يتسنى لهم الحصول على دعوة لكوريا الجنوبية أو إقامة علاقات تجارية مشتركة مع شركات كوريا الجنوبية، وكانوا يتظاهرون بالموافقة على ما يقول به صديقنا لإرضائه. إن ما ينطوى عليه صديقنا من هيئة حسنة يثير قلقى’.

‘من أى ناحية؟’

‘لقد وعد بتدبير دعوات لاثنتين من معارفه الجدد بالفعل، وبمنح عدد كبير من الكتب لمنظمة ما. وتطرف في وعوده بما يجعله يعد بتأمين بناء مكتبة لواحدة من المدارس. لا أعتقد أنه يمتلك هذه المقدرة. أخشى أن يخذل عدداً كبيراً من الأبرياء السذج’.

لو أن رجل الأعمال ظل يتحدث عن رجل الوحدة كي يحرف اهتمامى عن أعماله الخاصة، فإنه لن يستطيع إدارة هذا بمهارة. فقد تورط، على الفور، في الكشف عن أفكاره الخاصة.

‘أليس هذا غريباً،’ واصل كلامه، ‘إن معظم الناس، عندما يفكرون فى الوحدة، يفكرون فقط فى القومية والأيديولوجيا؟ هل أنت من هذا النوع، يا سيدى؟’

وعلى الرغم من حذى فيما يخص الإعلان عن وظيفتى، فلا بد أنه قد استشعر لدى نوعاً من الولع بالكتب والمطالعة. على أية حال، ها قد كان ينادىنى بـ “سيدى” على الرغم من أننى قد قلت له إننى رجل أعمال.

‘حسناً، ماذا تظن إذن بخصوص “الوحدة”؟’

‘الشيء الأول الذى أفكر فيه هو كيف نستطيع إطعام العشرين مليون جائع، وكيف بإمكاننا أن نجعل كوريا الشمالية تشبه ولو سطحياً كوريا الجنوبية.’

‘أعتقد أن الأعمال الكبرى لابد أن يتم إدارتها بطريقةٍ أو بأخرى. عندئذٍ سيمكنهم الحصول على الكثير من العمالة الرخيصة، وسيكون لزاماً عليهم استغلال المصادر الثمينة المتاحة لديهم.’

‘لن يكون هذا امتيازاً مضموناً على الإطلاق. أحد عملائى من أصحاب الشركات التجارية الضخمة، وهو فى حالة من القلق الشديد بشأن ما يمكن أن يحدث بعد الوحدة. قال إن بإمكانه استخدام العمالة المؤقتة الرخيصة من بنجلاديش وباكستان والفلبين فى المهن الوضيعة، لكنه لا يستطيع ممارسة هذا مع أبناء كوريا الشمالية؛ لأن

هذا سوف يفجر صراعات إقليمية بكل تأكيد، وسوف تكون صراعات إقليمية أكبر بكثير من الصراع الشرق - غربى^(١٣) الذى كان مزعجاً إلى حد كبير. لقد كان يعتريه الشك، أيضاً، فى مستوى الكفاءة التى تتمتع بها العمالة الشمال كورية. إنهم على يقين من انعدام الكفاءة الشائعة فى البروليتارية الشيوعية، وعن فكرتهم المبتذلة حيال "أداء الأعمال بطريقتنا" وأنهم لن يسهموا فى بناء الأعمال الاقتصادية الحديثة. اعتقد أن إعادة تدريب العمالة الشمال كورية يستغرق سنوات كى تتكيف مع احتياجات مجتمعنا. وكما هو الأمر الآن، فعمال كوريا الشمالية يأتون فى مرتبة أدنى من الفلبينيين أنفسهم، وإذا ما كانوا يأملون فى تقاضى أجور تتساوى مع الرواتب التى يتقاضاها الجنوب كوريون فإن هذا فقط سيكون بسبب انتماهم لنفس الدم، فى هذه الحالة لن تكون هناك أماكن كثيرة تنتجه إلى تشغيلهم، قال لو بالإمكان استخدامهم فقط فى الصناعات الأولية، فإن قوة العمل الشمال كورية ستكون عائناً أكثر منها مصدر قوة لاقتصادنا. وكانت لديه وجهة نظر سلبية أيضاً بشأن المصادر الطبيعية فى شمال كوريا؛ قال إن كوريا الشمالية لديها فعلاً مصادر طبيعية أكبر مما لدينا، لكن القليل منها فقط فائق المواصفات وفقاً للمعايير العالمية.

(١٣) سكان جيولا دو، فى جنوب غرب كوريا الجنوبية، وجيونج سانج فى الجنوب الشرقى، المنحدرون من مملكتى بيك جى وسىلا على التوالى. يختلفون فى حالتهم المزاجية وطباعهم، وهناك عدا كبرى بينهم، الأمر الذى يقضى إلى العديد من الصراعات الاجتماعية. (المترجم)

قال إنه من الممكن أن تضطر صناعتنا لشراء المواد الخام الطبيعية من كوريا الشمالية رغم أنها أعلى في أسعارها وأقل في جودتها، فقط لأنها تُستخرج من أراضيها. باختصار، الموارد الطبيعية الشمال كورية يمكن أن تتحول إلى عبء على صناعتنا.

‘حسناً، أعتقد أن كل هذا سوف يأتي تحت باب “تبعات الوحدة” أعرف أن هناك من يجهزون للوحدة ويفهمون تكاليفها. لذلك، لابد أن نحتاط من تلك العوامل. أعني بالمعنى الاقتصادي. لكنني على يقين من أن الاستعداد السياسي، كما يقرر صديقنا، يأتي أيضا على درجة من الأهمية. لو لم نحدد الاختلافات السياسية والأيدولوجية بين كوريا الشمالية والجنوبية قبل الوحدة، فإننا بالفعل سنسقط في مغبة حرب أهلية فادحة’.

‘أحد أصدقائي وصل إلى هذه النظرية. قال إن نقطة المخاطرة العظمى في توحيد الكوريتين في إطار شيوعي سوف تعلن عن نفسها بعد ثلاث سنوات من الوحدة. حينئذ سيكون عدد كبير من أبناء كوريا الجنوبية قد هبطوا تحت خط الفقر، لأن اقتصاد كوريا الجنوبية سيستنزف في دفع نفقات الوحدة. وسيعانى مواطنو كوريا الشمالية من حالة من الحرمان الموازي. ما يعنى تكاثر عدد من يريدون إسقاط النظام الاجتماعى القائم عن من يريدون الإبقاء عليه، لدرجة أن البنية السكانية ستكون الأكثر عرضة للثورة الاجتماعية. على أية حال، أعتقد أن الاستعداد الاقتصادي هو البعد الأكثر

جوهريّة، ربّما لأنّنى رجل أعمال. فكما رأيت، دون شك، فى انهيار الاتحاد السوفيتى، أن الأيديولوجيا تتحدّد وفقاً للظروف الاقتصادية. أعتقد أن جدالهم حول البنية التحتيّة وسلطتها فى تحديد البناء الفوقى له معنى'.

مرّة أخرى، أثار إطلاقه كلمة "رجل أعمال" على نفسه فضولى. وكلّما تعمّقت فى الحوار معه أكثر، بدا لى أنه ليس رجل أعمال عادى.

'قلت إن لديك شركة تقوم بصناعة من النوع الثقيل لعميلك. ويبدو أنك تعرف الكثير مما يجهله العامة من أمثالى. هل لى أن أسالك عن نوع الأعمال التى تقوم بها؟' غامرت بالسؤال، رغم تمام يقينى من أن الموضوع الذى أتساءل بشأنه هو ما يجاهد فى محاولة تجنّبه. غيمة من التردد ألقت بظلالها على وجهه، ولكن واصل محاولته للتملص والمراوغة.

'آه! إنه مجرد مشروع تجارى متواضع. أنا فقط أحاول المتاجرة فيما يعود علىّ بأرباح ضئيلة'.

نهض واقفاً عندما لمح رجلاً يدخل الكافيتيريا ومعه حقيبة بلاستيكية منتفخة؛ لوّح له، كأنه يزعم منادياً على من ينفذه.

عندما زرت يان جى للمرة الأولى عام ١٩٨٨، السنة التى أقيمت فيها دورة سول الأولمبية، كانت يان جى تتمتع بالمظهر المتميز للبلد الشيوعى. هكذا، شعر المرء بأنه ينظر إلى جهاز إلكترونى عتيق صُنِع بقوةٍ لكنه على سوفت وير انتهت صلاحيته. لكن عندما عدت لزيارتها العام قبل الماضى، بعد فترة أربع سنوات، وجدتها قد تغيرت كثيرًا. المظهر الخارجى لم يتغير كثيرًا، لكن التغير كان ملحوظاً بوضوح فى كل مكان. التغيرات التى حدثت، سواء للأفضل أو للأسوأ، كانت تشير بوصول الإقليم إلى اقتصاديات سوق رأسمالية.

ومنذ ذلك الحين مر عامٌ ونصف. اتجهت إلى شارع الصداقة لأحدد التغير الذى حدث، بقوة الملاحظة التى تسم مفتشاً جاداً فى عمله. لم يكن شارع الصداقة شارعاً رئيسياً تكون التغيرات مرئية تماماً فيه فحسب، بل إنه أحد الشوارع المزدهمة بالمطاعم الكورية، لذلك فقد كنت سألقى نظرة على الشارع ثم بعد ذلك أتناول الغداء فى مكان ما.

غير أن التغيرات التى تلحق بمدينة ليست معياراً. وأنا كنت قد جاوزت الخمسين من عمرى، ولم أعد بعد مدركاً تماماً لنبض المدن كما كنت فى الماضى. لذلك انتابتنى، بعد قليل، حالة من الإرهاق، وبعد أن ألقيت نظرة، دونما اهتمام شخصى، على البنايات والمحال التجارية التى بدت مع اختلافها متشابهة. جعلنى هذا أتجه إلى ذلك

المقهى المسمى "نهر الهان" بعد أن مشيت مسافة بنايتين. كانت لافتة الشارع مكتوبة بخط كبير باللغة الكورية، لخدمة السائحين القادمين من كوريا الجنوبية، وكُتِبَ عليها فى شبه دائرة باللغة الإنجليزية، مقهى/ مطعم. بدت لافتة الطريق مألوفة إلى حد ما. ربما لأنها كانت مثل تلك اللافتات الموجودة غالباً فى شوارع سول.

كان المكان من الداخل أيضاً يشبه مقهى درجة ثانية فى سول. ولم يكن هناك زبائن. بدا أن المكان كان أقرب إلى المقهى منه إلى المطعم، وهو تقييم أدت إليه قلة الزبائن والوقت يوشك على الغداء. ولم تكن لدى نية فى تناول الغداء هناك أيضاً.

‘مرحباً،‘ حيانى صوت امرأة من خلف منصة استقبال فى الركن المعتم من المكان. رغم أنها لم تقل سوى كلمة واحدة فقط، فأعتقد أنها لم تكن تشبه النطق الأصلي لسكان يان جى. المرأة التى أنت لتقف أمامى وأنا جالس على طاولة بالمقهى كانت فى الثلاثين من عمرها تقريباً.

‘بماذا تأمر؟‘ سألت وهى تقدم لى القائمة، بلهجة تشبه تلك التى يتحدث بها أهالى سول. تفحصتها، واعتقدت أنها تشبه صاحبات الأماكن المشابهة فى سول. للحظة تساءلت ما إذا كانت قد أنت من سول، غير أن هذا لم يكن محتملاً على الإطلاق. حتى رغم معرفتى بأن العديد من أبناء سول يديرون مشروعات تجارية فى يان جى،

لكننى لا أظن هناك من كوريا الجنوبية من يحمل نفسه جبلة فتح مقهى درجة ثانية فى يان جى. ولم يكن من المحتمل أيضا على الإطلاق أن تعمل امرأة من سول مضيضة فى مقهى.

‘حسناً، أريد كوباً من عصير الفواكه. واعزى نفسك على آخر، لو أردت،’ قلت على سبيل دعوتها لحوار معى كما اعتدت أن أفعل مع صاحبات المقاهى الريفية فى كوريا وأدعوهن إلى دردشة تافهة. بدت صاحبة المقهى معتادة على مثل هذه المفاتحات والعروض، وأنت بكوبين من العصير وجلست قبالتى على الطاولة، دون أن تنتظر دعوتى لها بالجلوس. ربما كان هذا بسبب شعورها بالملل ورغبتها فى تجاذب أطراف الحديث مع شخص ما، لأن حالة المقهى كانت كاسدة للغاية، لكن افتقارها التام للخجل بدا لى أنه يشى بأنها ليست من هذه النطاقات.

‘يبدو أنك لست من سكان هذا الإقليم. من أين أنت؟’ سألتنى، باهتمام مبالغ فيه. كان هذا هو السؤال الذى أردت توجيهه لها، لكننى كبحت جماح فضولى، وأجبت سؤالها أولاً.

‘أنا من سول.’

‘هل أتيت وحدك؟’

‘لا، أتيت مع فوج سياحى. لكننى تركت الفوج منذ يومين للقيام ببعض الأعمال.’

‘هل أنت رجل أعمال؟’

‘ليس بالضبط. أنا فقط ملتزم بموعد مع شخص ما.’

‘أين بقية أفراد الفوج؟’

‘ذهبوا لزيارة بحيرة تشيون جى. إنه مجرد فوج سياحى.’

‘متى يعودون؟’

‘غذا فى الليل’، أجبت بمنتهى الصدق، لأننى لم أجد ما يدعو للكذب عليها. أو مات بامنتان.

‘أحضر مجموعتك هنا غدا فى المساء. سوف أهتم بكم جميعاً كما ينبغي. عندنا حفلات كاروكى أيضاً، وبنات جميلات. جميعهن يتحدثن اللكنة الكورية الجنوبية، ولا يمكن مقاومتهم.’

‘سوف أبلغهم بهذه المعلومات. على أية حال، هل أنت من هذه المنطقة؟’ سألت متظاهراً باللامبالاة قدر المستطاع. فأجابت دونما تردد.

‘نعم، لست من هذه المدينة، لكننى تربيت بالقرب من هنا. لماذا تسأل؟ هل أبدو كأننى من مكان آخر؟’

‘نعم، لا تبدين مثل سكان هذا الإقليم الأصليين. لقد عشت فى سول، أليس كذلك؟’

‘أوه! لكنتى. نعم، عشت لمدة سنتين فى سول. الناس يلقوننى بهذه النظرات عندما يسمعون لكنتى، وهناك سلبيات عملية أيضا؛ لذلك حاولت جاهدة أن أتعلم لكنة سكان سول. هل تبدو قريبة؟’
‘أى سلبيات عملية؟’

‘بمجرد أن اكتشف الناس أننى من يان جى، نظروا إلى نظرة وضيعة وحاولوا الاحتيال علىّ. حاولوا استخدامى جنسيًا، أيضا.’
لأبد أنها قد ذهبت إلى سول لتكوين ثروة. لم أستطع منع نفسى من التساؤل بشأن السنتين اللتين قضتهما فى سول، وماذا فعلت خلالهما، لكننى لم أسأل، لما سمعته عن قسوة حياة الكوريين الصينيين فى كوريا الجنوبية. لذلك توقف الحوار بيننا لبرهة.
‘حسنًا، ماذا عن العمل؟’ سألت. توقفت المرأة لتحتسى عصيرها وأجابت، بتهيدة عميقة:

‘كنت أعتقد أننى سأكوّن مبالغ طائلة لو أننى فقط تمكنت من إقامة مثل هذا المشروع، لكنه صعب. هذا النوع من الأماكن باهظ الثمن بالنسبة لأهل المنطقة، وليس هناك الكثير من السائحين كى يستمر ويدر أرباحًا. لذلك فإن كل ما اخبرناه أن وزوجى يعد عامين من ممارسة كل أنواع المهن الوضيعة سيتطير كالدخان’.

ألقت المرأة بعينها فى اتجاه المطبخ وهى تقول هذا. حينئذٍ فقط، دفع رجلٌ، بدت عليه علامات شيخوخة قبل الأوان، الباب الذى

يفضى إلى المطبخ ونظر للخارج. لابد أنه زوجها. بالنظر إلى وجهه المُرَهَق العارى من الروح تبينت نوع الحياة التى لابد أنهما قد عاشاها فى سول. لابد أن الرجل كان يمارس بعض العمل العضلى يوميًا دون إجازات، والمرأة لابد أنها كانت تمارس أى عمل ما دام سيعود عليها بأجرٍ جيد.

جعلتني الفكرة أستعيد ملاحظة رجل الأعمال فى كافيتيريا الفندق قبل برهة بشأن عمال كوريا الشمالية. ربما بعد الوحدة سيمر عمال كوريا الشمالية بتجارب حياتية مماثلة لتلك التجارب التى عاشها هذان الزوجان فى كوريا الجنوبية.

‘هل كانوا إذن يدفعون لك أجرًا معقولًا؟’ سألت بارتباك، رمقتني المرأة باندھاش، لكنها لوت شفتيها، بما يعنى أنها فهمت مقصدي.

‘أجور معقولة! اللعنة، لا. الجميع كانوا يريدون تشغيلنا حتى الموت لو شموا خبر أننا من يان جى. المكان الوحيد الذى كان يدفع لنا رواتب مقبولة كانت أماكن العمل التى يطلقون عليها 3-D، التى لا يعمل فيها مواطنو كوريا الجنوبية. لقد نصبوا على زوجي فى أجره فى أعمال الأجر اليومي. دائمًا كانوا يخصمون جزءًا من أجره بذريعة أو بأخرى.’

‘لكن ألم يدفعوا لك تقريباً ما يساوى أجر الكوريين الجنوبيين؟
سمعت أن العمالة الوافدة من الفلبين وبنجلاديش لا تتقاضى نصف ما
يتقاضاه عمال كوريا الجنوبية’.

أومض شعاع ضوء أزرق من عينيها.

‘كيف لك أن تقارننا بهم؟ نحن أبناء نفس الدم، رغم أننا قد
عشنا بعيداً بضعة عقود،’ قالت بنبرة غاضبة، ثم قالت بصوت
خفيض متعجل، وهي تنظر باتجاه المطبخ: ‘أنا على يقين من أنك
سمعت هذه القصص في سول. هل تعرف كيف ادخرت المال الذي
اشتريت به هذا المكان؟ كنت أقوم بخدمة العاهرات وتحملت
تحرشات السكارى. لماذا ينبغي على امرأة متزوجة مجارة ذلك، لو
لم يكن لأجل المال؟ انظر، أنا هنا بين شريحة المتعلمين. لكن في
كوريا الجنوبية، لا يمكننى حتى أن أتقدم بطلب للحصول على عمل
مكتبى، وفي المصانع يقولون إنهم سيدفعون لى مثل الفلبينيين. لماذا
يدفعون لى مثلما يدفعون لهؤلاء البنات الكسولات اللاتى لا يفهمن أى
شئ حتى التعليمات؟ كيف يستطيعون التصريح بهذا لمواطن مثلهم
من أبناء جلدتهم؟’

عضت المرأة شفتها، وهي تستعيد ما عاشته من الإذلال. فى
غضون ساعة كنت أشهد حالة حية لما تتبأ به رجل الأعمال خلال

دردشتى معه. تعجلت وقدمت اعتذارى، وأنا أشعر بالإثم لأننى نفخت الروح فى ذاكرة آلامها.

‘ربما تكون سول جديرة بالإقامة فيها بضع سنوات من أجل المال، لكن لن أقع تحت غواية أى شىء يدفعنى للعودة إلى هناك طيلة حياتى’.

بهذا الإعلان، توارت قليلا حالة السخط التى انتابتها. وأضافت بأدب، رذا على استجابتى المتعاطفة تجاهها: ‘حسناً، لا يعنى هذا أن كل الجنوب كوريين لصوصاً ومستغلين. لقد كان هناك بالفعل القليل من الطيبين الكرماء’.

بدا أننى جلست فى المكان فترة طويلة. لكننى ارتبكت وأنا أهم لأنصرف.

‘أنا آسف جداً. رأيت اللافتة تقول إن هذا مطعم أيضاً، لكن بصراحة، منذ بضعة أيام وأنا أشتهى تناول الطعام الكورى’.

عندما قدمت اعتذارى بأمانة، ردت المرأة بتعاطف.

‘آه! لا عليك. على أى حال لسنا مطعمًا بدرجة كبيرة. نحن نقدم الوجبات الغربية الخفيفة فقط. حسناً، هل تشتهى تناول طبق بعينه؟’

‘كنت أريد أرزًا فى حساء حار، وبعض الكيمتشى’.

‘حسنًا، سأخبرك. اتجه يمينًا عند خروجك من الباب، وسترى لافتة مطعم سول قبل أن تتجاوز بنائيتين من هنا. إن اسمه ليس مطعم سول فقط، لكنني سمعت أنهم أتوا بالشيف من هناك. أعتقد أن الطعام هناك يناسب ذائقة أبناء سول’.

شكرًا لنصيحتها الجميلة، فقد استطعت أن أتناول طبقًا كوريًا مناسبًا على الغداء. في الحقيقة، كان طبق الأرز في الحساء الحار ومعه شرائح البيف مع الكيمتشي وبه الكثير من السكر ونكهة الأومامي، ربما في محاولة لتقديم طعام يستطعمه السائحون القادمون من سول، ولكن بعد تناول الطعام الدهني الصيني في كل الوجبات لبضعة أيام، فقد شعرت بالامتنان لمذاق الطعام الكوري المبالغ فيه هنا.

كان لدى تأكيد آخر على نبوءات رجل الأعمال بشأن مشاكل ما بعد الوحدة في ذلك اليوم ذاته. الدكتور ليو، الذي أتى لرؤيتي في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، قال بتعبيرات تشوبها الدهشة والإحباط:

‘دكتور يي، أنا بالفعل لا أفهم مجتمع كوريا الجنوبية، حتى رغم أنني التقيت بعدد قليل من مواطني كوريا الجنوبية وسافرت من قبل إلى سول’.

‘لماذا، ماذا حدث؟’

‘هذه ليست المرة الأولى. أنا بالفعل لا أفهم. غالباً ما يطلب الجنوب كوريين المساعدة فى التبادل الثقافى، ولذلك أساعدهم قدر المستطاع، حينئذٍ عندما يكون كل شىء على أهبة الاستعداد تقريباً، يضعوننى فى أكثر المواقف إحراجاً بطلب أشياء غريبة وغير مبررة. هذه المرة أيضاً، هذه المنظمة المسماة بـ "جمعية الكتاب للوحدة القومية" طلبت منى المساعدة فى تنظيم لقاء بكتاب كوريا الشمالية. لذلك طلبت المساعدة من زميلى الدكتور جانج صاحب علاقات الصداقة الكثيرة بين كتاب كوريا الشمالية، وبذلنا جهداً شاقاً فى العمل لتنظيم لقاء الكتاب. حددنا اختياراتنا بعناية فائقة. لأن كتاب كوريا الجنوبية أكثر ميلاً للاتجاهات الراديكالية، فاخترنا من بين كتاب كوريا الشمالية من هم أقل راديكالية وأقل انتصافاً لتغليب الخطاب السياسى من بين كتاب كوريا الشمالية حتى نُحدث نوعاً من التوازن. لكن انظر إلى ما قاله الجنوب كوريين. قالوا إن كتاب كوريا الشمالية لابد أن يكونوا أعضاء بارزين فى المؤسسة الأدبية الكورية، ويكون بينهم، إذا أمكن، كتاب وطنيون ما أصحاب الخطوة لدى المؤسسة الرسمية. لذا أخبرتهم بأن مثل هؤلاء الكتاب لم يعودوا منشغلين بالكتابة الآن، لقد أصبحوا ساسة، وليس من المنتظر أن تسمعوا منهم شيئاً سوى البروباجندا السياسية. وهل تعرف ماذا كان ردهم؟ قالوا إن هؤلاء الكتاب هم بالتحديد من نريد الالتقاء بهم. أفهم أنهم يريدون مقابلة كتاب الصف الأول. ولكن السبب فى أن كتاب

كوريا الجنوبية يريدون الالتقاء بهم ليس مجرد شهرتهم. الأمر هو أنهم يعتقدون في إمكانية إقامة أفضل علاقات مع هؤلاء الكتاب. وقد أكدوا على تعاطفاتهم الشيوعية الخاصة بهم. لقد صُعِقْتُ. مضوا بقوة في الحديث عن أسطورة كيم إل سانج وعدادوا الإحصاءات التي تبين تفوق النظام في كوريا الشمالية، التي هي عبارة عن أرقام مهجورة منذ فترة طويلة. بدا الأمر كأنهم دعاة متحمسون لإيديولوجيا جوتشي^(١٤) مثل أى كتاب قوميين يتم تلميعهم والدفع بهم إلى سطح الحياة في بلادهم. حسناً، بأى معنى نُطْلَق على هذا "تبادلاً ثقافياً"؟ إن هذا لا يمكن أن يكون أى شيء سوى احتشاد سياسى لمجموعة من الرفاق الشيوعيين. والكتاب المتحفظون، أيضاً، ليسوا أفضل كثيراً. إنهم من يجب عليهم الالتقاء بالشيوعيين البارزين. لكنهم كتاب روايات غرامية وشباب من المدافعين عن "الانفتاح". هذا نوع آخر من الاندماج معاً. لماذا نسمى هذه الأشياء "تبادلاً ثقافياً" أليس أى تبادل يستهدف الاستماع إلى الطرف الآخر، والتوقف عند نقطة من نقاط التفاهم المتبادل؟ لكن كلا الجانبين يسعى إلى تقوية موقفه باستجداء الدعم من المتعاطفين. كيف يمكن أن يكون هذا إعداداً ليوم الوحدة؟ بالنسبة لهؤلاء الناس يمكن أن تكون هناك وحدة ولكن بالقوة، وليس وحدة بالتفاوض والحوار والاتفاق. هل هذا تفكير

(١٤) الإيديولوجيا الرسمية في كوريا الشمالية، التي يمكن ترجمتها: "أن تكون سيد نفسك". (المترجم)

ليبرالى ديمقراطى؟ دفعونى إلى حالة بالغة الحدة من الغيظ والاستياء لدرجة أننى تركت زميلى هناك عرضةً لإزعاجهم ومضايقاتهم ومشيت'.

كان ذلك هو أحد أمثلة "التبادل الثقافى" المُسيّس، وفكرت أن هذا سيمثّل عواقب السعى إلى الوحدة فقط من خلال الوسائل السياسية.

‘حسنًا، أعتقد أنه لا يمكننا أن نتوقع ثمارًا عملية منذ البداية. طريق التبادل لابد أن يتم فتحه أولاً بطريقة ما أو بأخرى. من الممكن حتى أن نحصد العداء والصراع فقط، لو التقى أناس يقفون على طرفى النقيض ضد بعضهم البعض،‘ قلت فى محاولة لتهدئة غيظ صديقى، لكننى كنت أشعر بثقل شديد على قلبى. أحزنتنى فكرة أن أخى الأصغر الذى سالتقى به عما قريب، ربما يكون ممثلًا لمثل هذه الثقافة ذات الخواص المختلفة.

رسالة مستر كيم التليفونية فى ذلك المساء زادت من حدة شعورى بالقلق.

‘إنه هنا. أخاك الأصغر. لقد وصل لتوّه. سوف يذهب إلى بيت خاله للنوم وسوف يأتى لرؤيتك فى الفندق صباح غد’.

فى الحقیقة كان أخی فى زیارة لـ "یان جى" على سبیل تلبیة
دعوة مزعومة من خاله، غیر أن ذهابه مباشرة إلى منزل خاله بدلاً
من المجيء إلى أعرب لى عن عدم توقه لرؤیتى.

فى الیوم التالى، أتى أخی مبكراً عن توقعاتى. لم یكن هناك
توقيت محدد لهذه المقابلة، لكننى كنت قد افترضت أنه سياتى فى
حوالى الساعة العاشرة تقربینا، وحتى على الرغم من ذلك فقد
استيقظت فى تمام الثامنة. كنت على وشك أن أنزل إلى غرفة الطعام
لتناول الإفطار عندما طرق أخی وبصبحته مستر كیم على الباب.

كما ذكرت من قبل، لم أكن متأكدا بالمرة من كيفية التصرف
بطريقة ملائمة مع أخی فى أول لقاء لى به. أنا ألتقى بأخی غیر
الشقیق للمرة الأولى فى حیاتی، و بیننا رصید من العداء الفطرى
والوراثى دائم الوجود بین الأخوة غیر الأشقاء. لم أكن متأكدا مما
ینبغى أن أقوله له. لم أكن متأكدا حتى ما إذا كان ینبغى على استخدام
الطريقة العادية والمألوفة العاربة من الكلفة معه أم لا.

لكن عندما تطلعت فى وجه أخی وهو یمشى خلف مستر كیم
إلى داخل الغرفة وهو فى منتهى الوعي بذاته، أدركت أن كل القلق
الذى عانیته لم یكن من الضرورة فى شىء. بدا أخی مألوفاً تماماً.
كان وجهه عبارة عن نسخة طبق الأصل تقربینا من وجه أبى، الذى
كان يتلاشى فى ذاكرتى، ولكنى كنت أتذكره بمساعدة بضع صور

فوتوغرافية قديمة، ووجه أخى الأصغر الذى وُلد بعد رِدَّة أبى والذى لسوء الحظ مات فى أواخر الثلاثينيات من عمره. كان قوامه يشبه بالضبط قوام أكبر أبنائى، بخصر نحيف وانحناء خفيفة فى العمود الفقرى، كخصائص جسمانية مميزة للرجال من أبناء عشيرتى. الشيء الوحيد الغريب فيه كان مظهره وهندامه، الذى يحيلك إلى البدلة الرسمية فى السبعينيات.

بدأت على أخى، الذى كان ماشيًا وعلى وجهه شيء من التصلب، علامات الارتباك والإجفال عندما وقعت عيناه على. لابد أنه نفس الإدراك قد داخله، هكذا عرفت من الضعف الواضح الذى اعترى وجهه.

‘أخوك أكبر منك بعشر سنوات، لذلك أعتقد أنه يتوجب عليك الانحناء احترامًا وتحيّة،’ قال مستر كيم لأخى، الذى بدا غير متيقن من التصرف الذى ينبغى عليه المبادرة به أو الكلمات التى يجب أن ينطق بها. كان فى هذا راحة كبيرة لى وساعدنى فى صياغة كلماتى الأولى بسهولة شديدة. استجبت لانحناء أخى الكاملة بنصف انحناء، وتمكنت من استخدام صيغة فى الكلام تتنقى فيها الألفة دون تردد أو قلق.

‘كيف تكتب اسمك؟’ سألت، قاصدا السؤال عن أى حروف صينية يستخدمها لاسمه. خمنت، عندما سمعت اسمه من قبل، أن أبى

أعطاه الرمز المُحدّد للأطفال الذكور من أبناء جيلي في العشيرة،
لذلك فكرت في أننى سأسأل أخى ما إذا كانت لدى فرصة للالتقاء به،
ولكن ها هي قد كانت. لكن أخى لابد أنه فهم أننى أسأله عن اسمه.

‘أنا هايوك. بى هايوك’.

‘أنا لا أسأل عن اسمك، ولكن عن أى رمز تستخدمه لاسمك.
ولا ينبغي أن تستخدم اسم العائلة في إعلان اسمك لأخيك الأكبر. هل
هو الرمز المرادف لـ “أحمر”؟ الرمز يتكون من رمزين “جيوك”
بجانب الجذر الملتهب؟’
‘نعم’.

‘هل تتكون أسماء كل إخوتك وأخواتك من مقطع واحد’.
‘لا. أختى الكبرى وأخى الأصغر يتكون اسمهما من
مقطعين’.

‘إذن لابد أن هناك “هيو” أو “سيوب” في اسميهما’.

‘هذا صحيح. أختى مان هيو، وأخى الأصغر مو سيوب’.

سرت ارتعاشة خافتة في قلبي. إن الشيعى الراديكالى الذى
يستطيع أن يترك زوجته الشابة وأطفاله الثلاثة الصغار في مدينة
تحترق، رغم كل هذا، لم يتجاهل أو يستخف بتقاليد عشيرته في
تسمية أطفاله!

‘هل استخدام علامة المجادلة فى الأسماء تُعدّ من الممارسات الشائعة فى كوريا الجنوبية؟’

بدا أن أخى يعتقد أنه من الغريب أن يكون لى اهتمام كبير بالأسماء، ونظر إلىّ دون فهم وإدراك. أنا بدورى نظرت إليه، مندهشاً من صمته. ولأنه تَفَهَّم سبب عدم الفهم المتبادل، فقد تقدّم مستر كيم لمساعدتنا.

‘تعرفان، الرمز الشائع فى أسماء العشيرة. اعتادوا على استخدامها فى كوريا الشمالية أيضاً، لكن يبدو أنه لم يعد بعد هناك من يستخدمها.’

‘آه! هكذا. لم تعد تستخدم. وليس فى أسمائنا هذا أيضاً’ أجاب أخى، وقد فهم أخيراً. قمت بتفسير عادة تسمية الأطفال بعلامة مجادلة تُلحق بالأسماء حتى أسيطر على حالة الإثارة الشعورية المتزايدة.

‘إن استخدام علامة مجادلة لا يتضمن بالضرورة استخدام رمز شائع فى كل أسماء الأطفال. العلامات تتبّع العناصر الخمسة من جيل إلى آخر. كل عشيرة أو جماعة لها نظامها الخاص فى ترتيب العناصر الخمسة. نحن فى عشيرتنا نستخدم الترتيب التالى: الأرض، المعدن، الماء، الخشب والنار. لذلك، فى الجيل الجديد كانت العلامة هى جايو لجيل الأرض، هايون لجيل المعدن، هو لجيل الماء، بايونج لجيل الخشب، وسيوب أو هيو لجيل النار. ولكن

العناصر يمكن دمجها دون الحاجة إلى استخدام هذه الرموز. على سبيل المثال، أفراد عشيرتنا من أبناء جيلي دائماً ما كان "سيوب" و"هيو" في أسمائهم. ويمكنني القول لو أن والدنا طال به العمر لتسمية أولادك، فإن أسماء أطفالك كانت ستحتوي على "جايو" كأحد مقاطع الاسم، أو كانت ستحتوي اسماً من مقطع واحد يشتمل على جذر الأرض في الرموز الصينية'.

غيرت الموضوع بسرعة، عندما لاحظت أن الدهشة والذهول ما زالتا على وجه مستر كيم من جراء خطبتي الطويلة عن الأسماء. 'آه! كان ينبغي على أن أطرح هذا السؤال أولاً. ما سبب وفاة أبينا؟'

'سرطان القولون. مات في مستشفى الشعب في مدينة جيمتشايك.'

وبينما كان ينطق بهذه الكلمة، صارت عيناه حمراوين ولمعتا بالدموع. ألمتني قصة أنقى أيضاً، لأول مرة منذ أن سمعت بموت أبي.

'هل مات... في سلام؟'

'نعم. أهد أبناء عمومتنا يعمل طبيباً في المستشفى. العم جايو نفو، الذي ارتد مع أبي وفر من الجنوب معه، فعل كل ما في

مستطاعه لأجل أبينا. لقد ظل أبونا فاقداً للوعى مدة يومين، لكنه لم يكن يتألم أو يعاني مثل معظم الناس...

لف النشيج صوت أخى. لكننى لم أستطع أن أشعر بأسى حقيقى، حتى بالرغم من أن قصبة أنفى قد التهبت وضربت إرهابات الدمع عينى. أتعجب لهذا الأسى الشديد الذى يشعر به لمجرد ذكر أبينا بعد عام تقريباً من وفاته، وأحسست باليأس لأنى لم أستطع الإحساس بمثل هذا الأسى، حتى بالرغم من كونى أيضاً أحد أبنائه. كنت بعيداً تمام البعد عن هيمنة الأسى على لدرجة أن حضورى العقلى كان قوياً بما دفعنى للتساؤل بشأن العم جايونغو، الذى أتذكر أنه كان أحد الأقارب، وكان خريج مدرسة ثانوية تجارية، ويعمل فى بنك قبل الفرار إلى الشمال، أتساءل عن كونه دكتوراً.

‘حسناً، أنا ارتحت لسماع ذلك. ولكن متى تحين الذكرى السنوية؟ لابد أن أعرف التاريخ بالضبط، لو كان لى أن أقوم بواجبى كأكبر الأبناء.’

‘أخوك يريد أن يعرف متى يقوم بإحياء الذكرى السنوية’، أوضح مستر كيم الأمر كأنه مترجم مطيع يعرف واجبه.

فى ٢١ أغسطس و١٨ مارس، أجاب أخى، وقد فهم سؤالى أخيراً.

لا يمكن أن يكون هناك تاريخان لوفاة أبى، لكننى فهمت. الثامن عشر من مارس هو ذكرى ميلاده. طقوس إحياء الذكرى السنوية تُقام فى ذكرى مولد الفقيد، أيضًا فى الشمال، حدث ارتباك مشابه حينما بدأنا نتحدث عن إجراءات طقوس الذكرى السنوية. لم يكن لدى أختى أية فكرة عن البيئة الملائمة للروح، أو لوحة الروح، ونهاية فترة الحداد. بدا أن شعائر إحياء الذكرى السنوية كانت أقرب إلى الطقوس المسيحية منها إلى الشعائر الكونفوشية التقليدية.

‘حسنًا، ما دامت لم نَقم طقوس محراب الروح أو لوحها هناك، فأعتقد أنه من الأفضل أن أقوم بها أنا. سأقيم مراسم وشعائر إحياء ذكرى السنوية فى اليوم الأول والخامس عشر من كل شهر،‘ قلت بطريقة حاسمة. لقد استحث ذلك أولى شرارات العداء الحاد داخل أختى. اشتعل الغضب فى عيني أختى منذرًا بالسوء، مُظهرًا ما يشبه التمرد الشعورى.

‘تعنى أنك تريد أن تأخذ إقامة مراسم إحياء الذكرى السنوية منا؟‘ كان صوته مشوبًا بالعداء.

‘ليس الأمر هو أننى سأخذ المراسم منكم. لكن ما دامت مراسمكم مجرد نوع من التجمع العائلى فى ذكرى الفقيد دون أية شعائر، فأنا سأقيم مراسم إحياء الذكرى السنوية وفقًا للتقاليد. فى عائلتنا، الشعائر ليست إجراءات عارية من المعنى. إن عشيرتنا من

العشائر المحترمة فى منطقة يونج نام^(١٥)، وأنا منحدر من سلسلة أول الأبناء لاثنى عشر جيل. لو أن عشيرتنا كانت من تلك العشائر الحقيرة ذات التاريخ القصير، لكنت قد أصبحت أنا وريث العشيرة وأسرتى هى العائلة الكبرى. لذلك، كيف يمكننى أن أتنازل عن مراسم الذكرى السنوية لأبى، بينما أنا الذى أقيم مراسم الأسلاف لأحد عشر جيل؟ حتى لو كنت أريد أن أحذفه، فإن العشيرة لن تسمح لى بذلك'.

ثم مضيت فى التفاخر والتباهى بالأسلاف العظماء، من احتلوا مناصب وزارية كانت تورث لهم بوصية بعد وفاة أصحابها السابقين الذين ظلوا فى هذه المناصب طيلة حياتهم، ومن بينهم قاضى آندونغ وأمين آيريونغ. ثم نظرت إلى مستر كيم. لكن مستر كيم بدا وقد وجد أنه من الصعب أن يشرح لأخى أهمية هذه الإنجازات الخاصة بأسلافى. لقد حاول فقط أن يجعل أخى يفهم أن شعائر إحياء الذكرى السنوية أمر غاية فى الأهمية فىعلانات يانغ بان^(١٦) وأن هذه المراسم دائماً كان الابن الأكبر يقيمها. لكن شرر الغيظ لم يهدأ فى عيى أخى. تعجبت من عدائه المتواصل.

(١٥) الجزء الجنوب - شرقى من كوريا. (المترجم)

(١٦) الطبقة المثقفة التقليدية فى بى داياناستى بكوريا. كانت بى داياناستى تحكمها الطبقة المثقفة التى وحدت التعليم، وكان لها دور فى اختبارات الخدمة المدنية، والتعيين فى المناصب الحكومية. (المترجم)

‘لكننى سمعت أنك لا تعتقد فى الأرواح والأشباح؟’ اقترحت رأيا.

‘ولا أنت أيضا، بناءً على ما سمعت. سمعت أنكم فى الجنوب قد أصبحتم جميعا أقرب إلى أبناء اليانكى^(١٧)، وقد أفلعتم عن المعتقدات التقليدية.’

كان ينبغى على أن أحاول تهدئة مشاعره التمردية بأى ثمن.

١٠ الأمر يختلف من شعب لآخر. لكننى أومن بالروح، وليس بالاتجاه الخرافى ولكن كحقيقة علمية. أنا على يقين من أنك تعرف عن النظريات العلمية قوانين مثل الحفاظ على القداس، والقوة الدافعة، والطاقة. أعتقد أن ذاتنا هى روحنا عندما نكون أحياء بالمعنى الجسدى للكلمة، وأن نشاط روحنا هو حركتنا وطاقتنا. حسنا، لو أن المادة التى يتشكل منها جسمنا ظلت بعد الموت فى حالة متغيرة، فكيف لأرواحنا أن تختفى مع موتنا؟ السؤال الوحيد الملح على عقلى هو ما إذا كانت أرواحنا تحتفظ بذاكرياتها وهويتها. لكننى لا أعتقد أن الأمر يهم فى كلا الحالتين. لو أن أرواحنا، كما هو سائد فى ديانات كثيرة، تعيش على الاحتفاظ بهويتها، فماذا سيفلق الرب على سعادتنا مثلما يفلق الأسلاف عليها؟ ولكن لو أننا نتحلل وتتوحد ثانية مثلما يحدث لأجسادنا، فلا أظن أن هناك أية عبثية فى تمجيد أرواح

(١٧) اليانكى: الأمريكى، أحد أبناء الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجم)

أسلافنا، الذين كانوا سببًا في وجودنا. لذلك، فأنا أقوم بأداء عبادة الأسلاف ليس ببساطة فقط في صورة إحياء ذكراهم السنوية ولكن بولاء ديني حقيقي'.

دون أن أدرك صدى الفنتازيا التي تتطوى عليها نظريتي في دوام الروح الأدمية، طرحت وجهة نظر مختصرة لقناعاتي بشأن معنى عبادة الأسلاف. بدت على وجه أخى حالة من الارتياح لكن لم يبدو أن نظريتي قد انتصرت عليه. سألت وأنا أشعر بأننى في موقف دفاعي:

‘لكن ما الذى يجعلك تشعر بكل هذا الحزن؟ يبدو أنك لم تحب فكرتي في القيام بمراسم إحياء الذكرى السنوية لأبينا’.

حينئذ فقط بدأ أخى يطرح الكامن في عقله.

‘يبدو لى كأنك تدعى أنك الابن الشرعى الوحيد’.

كان أخى يعاني نفس العداء الذى شعرت به عندما فكرت في أبناء أبى من زوجته الثانية، عداء قائم حتمًا بين الإخوة غير الأشقاء. غير أن صراحة أخى جعلت من اعتراضه شيئًا مقبولًا. على النقيض من ذلك فقد جعلتني صراحته أشعر أنني في موقف قوة كابن أكبر لأبى، ابن من زوجته الأصلية الأولى.

أعتقد أن وعيى بموقفى الأكثر تفوقًا هو ما أهلنى للتساؤل بشأن أسماء وتواريخ الميلاد ليس فقط بشأن عشيرتى ولكن بشأن

أمهاتهم، اللاتي يعرضن إدراجهن في كتاب علم الأنساب الخاص بعشيرتنا. بدا أن أخی كان يتعجب من وجود مثل هذا السجل، لكنه كتب كل المعلومات التي طلبتها. أظهرت طريقته أنه بعيد تمام البعد عن الإحساس بالحاجة إلى المصادقة الرسمية على عضويته لعشيرتنا، لكنه واصل كتابة الأسماء والتواريخ في مفكرتي.

جاء دوري في الانزعاج. جانج مايونغ صن، من عشيرة جين جو غانغ، ولد في الثاني من يونيو ١٩٣٠. مان هيو، أنثى، مواليد السابع عشر من أغسطس ١٩٥٥... كما كتب في المفكرة. أعتقد أنني استطعت أن أخمن نوع الزواج الذي تم بين أبي وزوجته الثانية.

لو أن طفلهما الأول قد ولد سنة ١٩٥٥، فمن المحتمل، إذن، أن تكون زوجة أبي الثانية قد حدثت عام ١٩٥٤. لابد أن غانغ مايونغ صن كانت في الرابعة والعشرين من عمرها. ومن المحتمل، إذن، أن يكون أبي هو زوجها الأول. أبي، الذي تخلى وارتد عن مذهبه السياسي وفرّ إلى الشمال وهو في الخامسة والثلاثين، لم يتزوج ثانية لمدة أربع سنوات، حتى بلغ سن الأربعين تقريبا. لذلك فقد تقيد على الأقل بحد أدنى أربع سنوات احتراماً للزوجة التي تركها خلفه في الجنوب. ولو أن زوجته تلك كانت الأولى لزوجته الثانية، فمن المحتمل أنها كانت عذراء، لأن الحب الحر والدعارة كانا من المحرمات في الشمال. إذن، فلو أنها منحدرة من وسط اجتماعي ضئيل ولم تحصل على تعليم جيد، فإنها تستحق أن تكون

زوجة شرعية. والأكثر من ذلك، أنها ظلت زوجة لأبى لمدة تقارب على الأربعين عامًا، والذي يعتبر ثلاثة أضعاف فترة زواج أبى من أمى.

من يستطيع أن يتهم أبى بالخيانة، لزواجه ثانية فى مثل هذه الظروف، وبانعدام الأخلاق، لخصوبة زوجته الثانية؟ من يستطيع توجيه الإهانة لزوجته الثانية وأطفالها بأنها محظية وبأنهم أبناء سفاح؟ من الممكن حتى ألا تكون الاثنتا عشرة سنة، التى هى عمر زوجته الأولى بأمى فى الجنوب، سوى ذكرى مؤلمة فى حلم جميل، وأن الأطفال الثلاثة الذين أنجبهم من أمى هم التشوهات التى لا يمكن محوها فى أسرته الجديدة فى الشمال.

‘هل لديك صورة لعائلتك؟ أود أن أرى ملامحك جميعاً،‘ قلت، وأنا آخذ مفكرة جيبى التى كان أخى يردها لى. تردد أخى للحظة لكنه أخرج حافظته وأخرج منها صورة. كانت تضم جميع أفراد تلك الأسرة، باستثناء أخى — ربما لأنه هو الذى التقط الصورة. كل الأشخاص الست الذين ضمتهم الصورة كانوا يبتسمون باتساع شفاههم، وخلفهم شاطئ رملى. بدا أبى متقدمًا جدًا فى السن، ولكن فيما عدا امرأة فى منتصف العشرينيات ذكرتتى بأختى الكبرى وهى فى العقد الثالث من العمر، فقد كان باقى الأطفال الآخرين صغاراً.

تفحصت الصورة بإمعان، وأنا أشعر بالحسد يفور داخلي؛ إذ تذكرت نفسي وإخوتي في سنوات الطفولة والمراهقة عندما كانت أمي تحال على المعيشة بالعمل كخياطة. بدا وجه أبي ووجوه الأطفال أليفة بطريقة باهتة، لكن حضور زوجة أبي الثانية، غانغ مايونغ صن، في الصورة كان غريباً بطريقة عنيدة ومثيرة للتناقض. كان وجهها قائماً وضارباً إلى الحمرة بشكل ملحوظ، بنية جسمها كانت قوية، وتعبيرات وجهها تشي بقوة إرادة. لم تكن تبدو زوجة طبيعية لرجل مثل أبي، الذي، حسبما أتذكر، كان مفكراً رائعاً. دفعني وجهها لطرح سؤالى التالى.

‘هل سمعت عن الكيفية التى تم بها الزواج بين والديك؟’

رمقنى أخى لبرهة ثم أجاب دون أن يبدى أى مشاعر:

‘كانت أمي تلميذة أبينا أثناء قيامه بالتدريس فى كلية الزراعة فى وون سان. كان هذا بعد أن عادت من الجنوب حيث حاربت بتألق كمقاتلة فى الجيش الشعبى. تزوجا بعد أن التقيا ثانية فى معركة بيول دو فى مان ديوك.’

‘معركة بيول دو فى مان ديوك؟ ماذا كان أبى يفعل هناك؟’

‘فى العام ١٩٥٤، تلقى الأوامر من الحزب بالعمل فى مشروع الرى فى جبهة بيول دو فى مان ديوك. لقد وُلدتُ فى مان ديوك، أيضاً.’

‘لماذا أمروا أستاذًا جامعيًا بالعمل في أحد المواقع الإنشائية؟
الاقتصاد الزراعى كان هو التخصص الدقيق لأبى، وليس الرى.
لماذا، هل سمعت؟’

حينئذٍ فكرت فى أنه بإمكانى تصور ما تبقى ملغزًا بالنسبة لى
بشأن مهنة أبى بعد ارتداده إلى الشمال. ١٩٥٤ كانت هى سنة
التطهير الكبير لأعضاء حزب العمال الجنوبي. لابد أن أبى كان قد
جرّد من أستاذيته وأُبعد للعمل فى مشروع للرى. إن ذلك يفسر
التعارض بين رواية أحد أقاربى الذى أرسل إلى الجنوب بعد فترة
قصيرة من الهدنة وقُبض عليه بتهمة التجسس، ورواية أحد الأقارب
الآخرين الذى أرسل إلى الجنوب فى الستينيات وقام بتسليم نفسه.
فبينما قال الأول إن أبى يعمل أستاذًا فى كلية زراعة وون سان،
أصر الأخير على أن أبى كان مهندسًا فى أحد المواقع الإنشائية
البعيدة. غير أن أخى بدا جاهلاً تمامًا بالتقلبات التى حدثت فى حياة
أبى.

‘لم يكن هناك سبب.’ لقد كانت أوامر الحزب.’

‘أخبرنى فى أحد خطباته فى منتصف الثمانينيات أنه كان
يعمل مع معهد العلوم التابع لوزارة الزراعة. هل كان ذلك صحيحًا؟’

‘لقد كان أبى موظفًا فى المعهد حتى وفاته.’

‘لماذا إذن، كان يعيش فى تشيونغ جين؟’

‘نحن نعيش فى تشيونغ جين منذ أن التحقت بالمدرسة الثانوية. لقد عشنا فى مان دوك أثناء عمل أبى كبير مهندسين فى مشروع الرى، ثم انتقلنا للعيش فى بيونغ يانغ لمدة ثلاث سنوات، فى تلك الفترة التحق بالتعليم ثانوية فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى سيونغ دو، ثم انتقلنا إلى تشيونغ جين’.

اعتقدت أننى لو سألته بتفصيل أكثر فإننى سأستطيع أن أتعب سيرة حياة أبى فى الفترة التى تلت رדתه وفراره، ولكننى غيرت الموضوع. لم أكن أريد أن أثير تحفه ضدى. لكنها لم تكن نقلة محظوظة.

‘وكيف تعيشون، إذن؟’

وجهت السؤال لأظير مدى اهتمامى بسعادتهم ورفاهيتهم، لكن طغى العداء فى عينى أختى بصورة ملحوظة. بدا أن عينيه كانتا تقولان، لقد كنت أتوقع هذه الإهانة طيلة الوقت.

‘كيف تتجاسر؟ هل تريد أن تسمع بأننا نتضور جوعاً؟’

‘كيف أتجاسر؟ الأمر ببساطة هو أننا من دم واحد ولا بد علينا أن نكون دعماً لبعضنا البعض حتى تحدث الوحدة. كيف حالكم جميعاً؟’

‘تزوجت أختى الكبرى من دبلوماسى وتعيش بالخارج، وتزوجت أختى الصغرى من أمين لجنة الصناعات الخفيفة بالحزب

فى العام الماضى. أأء إآوتى الصغار يعمل مدرسا؁ وأصغرنا فى عامه الدراسى الأول فى كلية ببونغ يانغ للغات الأآنبية. أما أنا فأعمل فى اللجنة المنظمة فى الاتحاد المالى للصناعات فى جيمتسايك. ربما لا تشبهكم كثيرا؁ لكننا نستطيع التمسك بما نملك ضد أى شخص'.

'أنا فى منتهى السعادة. إذن؁ صحيح أنك أخذت من الوطن أكثر مما أعطيته؁ كما قال أبى فى رسالته. لقد انتابنى القلق؁ حتى رغم أننى لم أكن أصدق كل ما أسمعُه عن الشمال'.

ولأن نبرة صوت أآى كانت ساخرة جدا؁ جاءت نبرتى أنا أيضا تهكمية. لقد استفزنى أآى مرة ثانية.

'كنا نظن أنك تعيش حياة قاسية فى الجنوب؁ لذلك اندهشنا جدا عندما أخبرتنا وزارة الأمن القومى عنك؁ حتى إن أبى قال ذات مرة إنك ربما تكون قد ذُبِحت. أتعجب ما الذى جعل كلاب الإمبرياليين الأمريكان المسعورة تتعامل معك بهذا الكرم'.

بدا الأمر كأنه يسألنى؁ كيف استطعت أن تقيم مثل هذه الصداقات مع كلاب الأمريكان المسعورة؟ للأمانة؁ لم أشعر أبدا حتى هذه اللحظة بالحاجة إلى الدفاع عن النظام الحكومى الذى أعيش تحت حكمه. غير أن أآى وجه اتهامًا جعلنى بغتة بطلاً ينتصف لشكل

حكومتى، تمامًا كأننى موفد إلى مؤتمر يجمع بين كوريا الجنوبية والشمالية.

‘صحيح أننا استطعنا أن ننجو من الموت بالكاد. لم تكن هناك نهاية لو أننى اضطررت أن أخبرك بكل ما مررنا به من محن. غالبًا ما كنت أجوع فى طفولتى ومراهقتى، وكانت هناك أشكال لا تحصى من الإذلال. ومن هذه الأيام تربي عندى اتجاه قوامه الإكثار من الطعام، وهى عادة اكتسبتها من أيام الجوع؛ لأننى لم أكن متأكدًا من الموعد الذى سأتناول فيه وجبتى التالية، فكنت أكل كثيرًا قدر المستطاع كلما وائتت الفرصة. كنت تحت المراقبة وأنا صبى! وعندما كنت طالبًا جامعيًا، كان هناك رجل شرطة مسئول عني، كان يفتش علىّ بصورة دورية، لذلك كنت غالبًا ما أضطر لترك وظيفتى كمدرس. واستمر الأمر هكذا لأكثر من عقدين، حتى أصبحت مدرّسًا مُعِينًا فى الجامعة التى تخرجت فيها. وانتهى الأمر عام ١٩٨٢، بالقرار الخاص من الحاكم العسكرى. وحتى الآن أنا بالفعل أحرر منه. مساحة شقتى لا تزيد عن ١٢٠ مترًا مربعًا، وكنت أقود سيارة صغيرة حتى أصبحت أستاذًا فى العام الماضى. وهذه الرحلة السياحية بأيامها العشرة تكلفنى نصف راتبى الشهرى. الأغنياء فى كوريا الجنوبية يعيشون فى قصور فخمة ويقودون سيارات أجنبية فارهة. بعضهم يطيرون إلى هاواى أو أستراليا للعب الجولف. كان علىّ أن أكون فى غاية الحذر والتواضع فقط لأتمكن من إنجاز هذا

النجاح الكبير. لا أستطيع أبدًا المشاركة في أية مسيرة مناهضة للحكومة أثناء سنوات دراستي الجامعية، ووُصِيت طيلة الثمانينيات بأنني رجعي محافظ، بينما كان كل أصحاب الرطانات الفكرية ذوى توجهات قومية وتقدمية'.

قمت بسرّد كل مِحْنَى وضالّة ناجحى بأمانة مأكرة. قلت إننى كنت فقيرًا، مثل شخص يتباهى بثروته بأن يقول أنا فقير، وهكذا مديرة منزلى والبستاني الذى يعمل عندى، وسائق سيارتى. ولكن عندما كنت أتذكر إذلال وبؤس طفولتى كأحد أبناء المرتدين كانت تتأبى عاطفة جياشة ويهتز صوتى بعنف وأنا أتحدث. ولذلك فبدلاً من الخُبْتُ الذى سيؤدى إلى الأثر المطلوب، تمكنت من تحريك شفقة أخى على.

‘فهمت. لقد عانيت. فى أيام طفولتى كنت أرى أبى بين الحين والآخر يبكى فى صمت. الآن عرفت السبب’.

أحسست أننى فى منتهى الغباء، وأنا أسمع أخى يواسينى بكل مشاعره هكذا، لكننى استعاضت استعراضى الخبيث لذاتى.

‘مؤخرًا فقط استطعت أن أشتري قطعة أرض صغيرة فى مسقط رأسنا. بالطبع هذا لا يمثل شيئًا، مقارنةً بما كنا نملك. وبنيت فيلا على قطعة أرض اشتريتها على الساحل الشرقى. لكنها ليست أكثر من منزل ريفى’.

‘سمعت أن الخونة البلوتوقراط^(١٨) يملكون ملايين الأمتار المربعة من الأراضى، وأن كل الأماكن ذات الطبيعة الخلابة مليئة بالفيلات الفاخرة حيث يمرحون مع المومسات الشابات’.

ببساطة لم تكن هناك فائدة. فطريقتى كانت غاية فى المهارة مع أخى الصغير الساذج. حينئذٍ أوضح مستر كيم وقد أحس عدم قدرة أخى على الفهم:

‘فهمت، مما أخبرنى به دكتور ليو، أنك رجل ثرى جداً، وفقاً لمعاييرنا. قال إن ثروتك تساوى أكثر من مليون دولار أمريكى، وإن أساتذة الجامعة فى كوريا الجنوبية يتمتعون بدخل أفضل، ووضع اجتماعى أعلى من مثيله فى الشمال’.

بدا أن كلمة مليون دولار قد صغقت أخى الأصغر. وتبدلت نظرة التعاطف على وجهه بنظرة قوامها الارتباك. فى اللحظة التالية احمر وجهه وسأل وهو يتنفس بصعوبة:

‘إذن، لقد كنت تتباهى بثروتك طيلة الوقت؟’

‘آه! لا. لقد أخبرتك فقط كيف أعيش. وكما أشار مستر كيم، ليس فى هذا ما يُعتَبَر متميزاً فى الجنوب’.

(١٨) البلوتوقراطى: شخص يملك السلطة والنفوذ بسبب ثروته. (المترجم)

دافعت عن نفسى بسرعة، لكننى كنت أتوارى خجلاً من حمرة وجهى. ولكى أخفى شعورى بالخزى والارتباك، أخرجت بسرعة من حقيبتى الجوز والخمر الذى أحضرته معى. قبل أن أغادر سول ذهبت إلى مدينة مسقط رأسى وأمددت نفسى بالخمر من آندونغ، والجوز والبلح من التلال القريبة، وكذلك ثمر البرسيمون المقشر والمجفف هناك. أحضرتها لى أعطيها لأخى ليقدمها على روح أبى، ولكننى كنت أمل أيضاً أن تقارب ما بينى وبين أخى. كنت سأستخدمها لأطف الارتباك والعداء الذى ربما يتسرب بيننا، لذلك أخرجتها بسرعة. فى البداية أخرجت حقيبة سفرى والقارورة البورسلين التى تحتوى على سوجو آندونغ^(١٩).

‘هذا سوجو من آندونغ. قدم بعضه لأبى نيابةً عنى’.

قدمت القارورة، وأنا أؤكد على كلمة آندونغ، لكن أخى لم يستجب بالطريقة التى توقعتها. أخذ منى القارورة على مضض، وقال بفضاظة: ‘عندنا مشروبات روحية ممتازة فى الشمال أيضاً. لم تكن بحاجة لحمل هذا كل تلك المسافة’.

(١٩) مشروب كحولى قوى يفضلته العديد من معتادى الخمور الكوريين وهو المشروب الكحولى الذى يقدم عادةً فى مراسم إحياء الذكرى السنوية للموتى. (المترجم)

ثم زجرني، وهو يرى الجوز والبلح والبرسيمون المجفف، قائلاً: 'لماذا يا أخى أحضرت هذه الأشياء؟ هل تظن أننا لا نملك من هذا الجوز ما نضعه على طاولات مراسم إحياء الذكرى السنوية؟' منحتني فظاظة أخى مفتتحاً جيداً. وبدأت في التلطيف:

'هذا السوجو قد تم تخميره مع ماء من مدينة مسقط رأس أبى. كنت أود لو حملت معى عرق الأرز من مصنع الجعة المحلى عندنا، لكننى حملت السوجو بدلاً منه لأن عرق الأرز ربما يتغير. أنا أعرف أن لديكم مشروبات روحية ممتازة، ولكن كيف لها أن تكون مبهجة لروحه مثل هذا السوجو الذى أثبت به من مسقط رأسه؟ نفس الأمر مع هذا الجوز والبلح. خشب الكستناء من التل الواقع خلف مدينتنا الأم، والبلح من تلال الأسلاف القريبة من منطقة السوق. ثمار البرسيمون تُجفّ في وادى الصنوبر، على الجانب الآخر من الجبل من مدينتنا الأم. لذلك، جميعها من الأرض التى شهد فيها والدنا طفولته. لقد كان يزور مسقط رأسه بانتظام كي يتجول حول التلال، والجداول الصغيرة حتى فى سنوات شبابه المزدحمة بالعمل. فكم كان شوقه للمجىء إلى هناك لأكثر من أربعين عاماً!'

لم أستطع أن أستأنف الكلام. كان أخى ينصت فى صمت وقور.

‘ما دمت لا تملك بيئة ملائمة للأرواح، فمن فضلك ضعها أمام قبره. إنه لعقوق بالغ منى ألا أفعل ذلك بنفسى’.

‘سأفعل، يا أخى،’ قال أخى، دون أى مشاعر عدااء أو تحفظ فى صوته. فنحن إخوة قبل أى شىء.

بعد ذلك، استعد أخى للذهاب، وأخذ منى السوجو والفاكهة والجوز، وهو يقول إنه بصدد مهمة أخرى لابد أن ينجزها. ولم يقل حتى إنه سيعاود زيارتى ثانية، حتى رغم أنه يعرف جيدًا أننى سأغادر يان جى على طائرة الحادية عشرة فى صباح اليوم التالى.

ولم يكن هناك ما يفيد موعد لقاء بيننا ثانية، كرهت أن أتركه يمضى هكذا. أخى أيضًا كان ممتعضًا من الرحيل، رغم أنه كان يسرع. لذلك اقترحت عليه أن نتناول الغداء معًا. قبل أخى الدعوة، ومضينا إلى أحد المطاعم القريبة. ولخوفى ثانية من أن مضايقة أخى بإبراز بحبوحتى وثرائى، طلبت من مستر كيم أن يختار مطعمًا، وذهبنا إلى مطعم كورى معتدل.

البيرة التى شربناها مع الغداء كان أثرها غير متوقع فى أن أزالت الكلفة بينى وبين أخى، وجعلت تجاذبنا لأطراف الحديث أكثر

ألفة وطبيعية. كنت أفكر، وأنا أرى أخى يعبّ كوبًا بعد آخر من البيرة بينما أنا أملأ له، فى أنه فرد حقيقى من عائلتى، عندما قال أخى وقد شاع الدم فى وجهه:

‘تعرف، لقد ذكرتنى بقوة وأنت تشرب بأبيننا. لقد اعتاد أبى أن يشرب البيرة دون أن يلوى رأسه لأعلى على الإطلاق، وكأنه فقط يشرب بعض الماء، وكانت ضحكته تجلجل صاخبةً عندما يسكر. لا يمكن أن يكون هذا نوعًا من المحاكاة الواعية، لأنك كنت صغيرًا عندما ارتد وفر’.

‘أعتقد أننى أتذكر بشكل باهت ضحكة أبى التى أعتاد أن يطلقها من غرفة المكتب. هل ضحككى تشبهها إلى هذه الدرجة؟’

لقد تركنا أبى عندما كنت فى السابعة من عمرى. لكن لابد أننى سمعت ضحكته قبل عام أو اثنين من رحيله. فى العام الذى سبق اندلاع الحرب، كان يقيم تحت الأرض خشية الأسر، لذلك لم يكن باستطاعته أن يضحك أو يشرب، وبعد أن اندلعت الحرب كان مشغولاً للدرجة التى تمنعه من الابتهاج. لذا، لم أكن كبيرًا بما يكفى لألحظ طريقة ضحكته. أكثر شيء فكرت فيه لابد أنه كان ذكريات أبى وهو يشرب مع رفاقه.

لكن الذكرى المشتركة لشرب أبى للبيرة قد قاربت بيننا، وأطاحت بالمسافات الشاسعة التى تفصل بين أماكن إقامتنا. أحسست أننى لن أستطيع أن أترك أخى يغادر دون أن أعترف له عن التضامن الذى أظهرته فى غرفتى بالفندق. لذلك، بدأت على الفور فى توضيح الأمر:

‘أعترف عما قلت صباح اليوم. أتمنى ألا أكون قد جرحت مشاعرك. لم أكن أقصد الاستعراض بثرائى. فقط تعامل مع هذا على أننى كنت أؤكد لك ألا تقلق علىّ، حتى لو أننى كنت مضطراً للمعانة بعد ارتداد أبى وفراره. لا تعتقد أن كل أبناء كوريا الجنوبية مصابون بهوس المال’.

كان اعتذارا، وإعلاناً عن الذات، ولكنه كان مصحوباً بشيء من الحقيقة. أفكار قلقة حول الطريقة التى تدير بها أسرة أبى حياتها كانت تداخلنى بين الحين والآخر قبل أن أقابل أخى، لذلك فقد بدا طبيعياً أنهم لابد ألا يقلقوا بشأن معيشتنا.

غير أن اعتذارى قد وضعنى من جديد فى موضع الخزى. حتى على الرغم من أننى كنت مشاركاً سلبياً فى الخطط التحذيرية التى أدارتها زوجتى، لقد كنت جاهلاً بقليل من التصرفات المالية السيئة التى كُتبت فى الأوراق منذ حملة التطهير التى بدأت العام

الماضى على يد حكومة كيم يونغ سام. اشترت زوجتى الشقة التى أعيش فيها الآن باسم اختها الأرملة كى تتجنب دفع الضرائب^(٢٠)، وفيلتى على الساحل الشرقى، والتى تعتبر فيلا منتجع غالى الثمن الآن، بُنيت على شكل منزل ريفى على طرف خليج مهجور اشترته زوجتى بأبخس الأسعار قبل عشر سنوات مضت. وقطعة الأرض الزراعية الكبيرة لم تُنقل ملكيتها صورياً باسم شخص آخر فحسب، ولكن تم دفع ثمنها بقرض بنكى مخالف للوائح. وكذلك لم تكن تلك هى المرة الأولى التى أحصل فيها على قرض بنكى مخالف للوائح. صديقى الذى يعمل مديراً لفرع أحد البنوك وافق أكثر من مرة على طلبات قروض تقدمت بها، رغم أنه يعرف جيداً أن القروض سيتم استخدامها فى غير الأغراض المكتوبة فى الطلبات. هكذا أصبحت مليونيراً، ولم أكن لأصبح كذلك لو أننى فقط ادخرت من راتبى وقمت باستثمارات يسمح بها القانون. غير أن أخى قبل توضيحي دون جدال.

(٢٠) لأن أسعار العقارات ظلت فى ارتفاعها الجنونى نتيجة للتنمية الاقتصادية وبناء رأس المال الاجتماعى القوي، فقد كانت هناك مضاربات عقارية محمومة فى كوريا الجنوبية خلال عقدى السبعينيات والثمانينيات. لهذا، قامت الحكومة بتجريم الكثير من الاستثمارات العقارية، وفرضت ضرائب كبيرة على امتلاك العقارات. (المترجم)

‘أوه! لا عليك. إنه لضيق عقل منى أن أعارضك على ذلك النحو. أنا بالفعل سعيد لأنك تعيش فى بحبوحة’.

ثم، بعد كثير من التردد، أخرج من حقيبة يده الصغيرة حافظة نقود حريرية صغيرة بحجم دفتر ملاحظات جيب. بدا أن وجه أختى يقول، ‘الآن جاء دورى لأظهر لك أختى’. توترت مستر كيم، وقد أحس ما فى الحافظة.

‘لماذا أحضرت هذا هنا؟’ وجه السؤال إلى أختى.

‘أمرنى أبى أن أعطيه إياها’.

ثم فتح الحافظة. وأخرج منها ميدالية متوهجة اللمعان. لابد أنها قيمة جدًا، من الطريقة التى يمسكها بها أختى، ولكن بالنسبة لى لم تبد ذات أهمية، حتى رغم أنها كانت ألفة من الاهتمام بتلميعها. كنت فى برلين عام ١٩٨٩ عندما انهار حائط برلين، وكانوا يبيعون ميداليات ألمانيا الشرقية. اشتريت واحدة مقابل ٣٠ ماركًا. كانت ميدالية أختى تشبه تلك التى اشتريتها.

‘هذه ميدالية التميز القومى من الدرجة الأولى عندنا. وهذا أعلى وسام حصل عليه والدنا مقابل خدماته التى قدمها للجمهورية طيلة حياته. لقد حصل عليها لما كرسه من جهد خلال عشر سنوات من العمل فى مشروع الرى فى حقل يول دو، فى ذروة الصراع من أجل التنمية الزراعية فى الستينيات. سمعت أن القائد العظيم بنفسه قد

منح الميدالية لأبى،' قال أخى، وهو ينظر مباشرة فى عينى. اهتزت مشاعرى. لم أعد أقارن الوضع النسبى لأستاذ الجامعة ومهندس الرى. ولا أن أمعن التفكير فى التعاسة التى يودى إليها اضطراب المرء إلى تغيير مجال تخصصه وهو فى سن الأربعين. لقد طغت على فكرة أن أبى يمنحنا فى الجنوب — أعلى تقدير ومكافأة ظفر بهما فى حياته. اعتقدت أننى أدركت ما يرمى إليه. كان أبى يخبرنا بأنه يرسل إلينا أرفع وسام شرف مُنح له فى حياته، كنوع من السلوان والمواساة وعوضاً عن كل التعذيب الذى تحملناه بسببه. الكلمات التالية التى قالها أخى هزت مشاعرى أكثر من تأملاتى بشأن أبى.

'لقد اعترضت أسرتى على إحضار هذا لك. قالوا إنه لا يجب أن تُمنح إلى أحد رفاق الكلاب المسعورة من الأمريكيين الإمبرياليين. لكننى اعترضت. أولاً، هذه أمنية أبى. وقلت أيضاً ليس باستطاعتى أن أعرف ماهيتك وأخلاقك قبل الالتقاء بك.'

'إذن، ماذا عنى؟' سألت، بذعر.

'أشعر أنك أخى. أو بدرجة ما، أنت جدير بأن تصبح الابن الأكبر لأبى. أنا لا أعرف كيف عشت، لكننى أشعر بأنك لن تفرط فى هذه الميدالية'. وقدم لى الميدالية وهو يقول كلامه هذا بكلتا يديه،

مثل شخص يؤدي مراسم الإنعام المهيبة. فى تلك اللحظة تذكرت جبل هايشان. لذلك سألت مستر كيم، دون أن أستشير أخى أولاً:

‘هل تتذكر التل المجاور لنهر تومان الذى صعدناه مع الدكتور ليو العام الماضى’.

‘تقصد هايشان؟’

‘نعم. كم من الوقت يستغرق منا الذهاب إلى هناك من هنا’.

‘أظن أن ساعة تكفى للرحلة كاملة’.

نظرت إلى أخى.

‘الأمر الذى ينبغى عليك القيام به — هل يتحتم عليك القيام به بعد ظهر اليوم؟’

‘لماذا السؤال؟’

‘لا أحد يعلم متى يمكننا أن نلتقى ثانية بعد هذه المرة. هل بإمكانك أن تُفرد لى ساعتين أخريين لى؟’

نظر أخى فى ساعته. بدا أن رغبته والوقت الذى يمكن أن يمنحه لى لم يكونا محددين. تجهم قليلاً لكنه قال بهدوء:

‘فى ماذا تفكر أن تفعل خلال هاتين الساعتين؟’

‘أريد القيام برحلة معك إلى هايشان، بالقرب من نهر التومين’.

‘ماذا ستفعل على الجبل؟’

‘عندنا طقس تقليدى يسمى "الصلاة والتقرب من بعيد". بعبارة أخرى، نحن نؤدى الصلوات لأسلافنا من بعيد، عندما لا يكون بمستطاعنا زيارة مقابرهم بسبب الحرب أو ظروف الطبيعة. نقرب قدر ما نستطيع إلى القبر، ونقدم القرابين ونؤدى الصلوات من هناك. ومادام ينبغي عليك التوجه باحترامك إلى أبيك فى كل الأحوال، فما رأيك فى أداء هذا معاً، من على ضفة نهر التومين؟ أود أن أقدم كأساً من الشراب وأتوجه بانحناءة تبجيل لروح أبى’.

عندما انتهيت من توضيح الأمر، كان أخى قد أخذ قراره.

‘وهو كذلك. سأذهب معك’.

لذلك، ذهبنا إلى جبل هايشام معاً. وحين أحس مستر كيم برغبتنا فى الاختلاء ببعضنا البعض لم يعرض مرافقتنا. ساعدنا فقط فى شراء السمك والفاكهة التى سنقدمها قرباناً لروح أبينا من أحد الأسواق القريبة، وتركنا بعد أن أوقف لنا تاكسيًا كان يقوده سائق من أصول كورية. ونظرًا لأنه لم يقل شيئاً بشأن باقى أتعابه، فقد خمنت أنه ينوى تقاضيتها فى فندقى ليلاً.

وعلى العكس من الشوارع فى يان جى، لم يكن هناك أية تغيرات ملحوظة على امتداد نهر التومين. تحت السماء المعتمة من أثر الرياح الغبارية القادمة من الجزء الرئيسى من الأراضى الصينية، تمتد جبال كوريا الشمالية مقهورة كنيبة، وكانت هناك لافتة إعلانية ضخمة تعلن "حركة تشيولما"^(٢١) و"العملية العاجلة" تقف على منتصف منحدر، تمامًا كما كانت قبل عامين مضيا. نهر التومين كان أيضًا على حاله، المقدار الهزيل لمائه كان يعلن عن علامات تلوث.

ولأننا لم نكن نحمل حصيرة طوارئ لنفترشها، فقد افترشنا صفحة من جريدة على قطعة مستوية من مرجة مخضوضرة. شرحت لأخى القواعد المناسبة لتجهيز طاولات التقديم لإحياء ذكرى الأسلاف، رغم تمام معرفتى بأن مثل هذه الأمور من الممكن ألا تكون ذات جدوى بالنسبة له. أخبرته أيضًا بطريقة عشيرتنا المميزة فى وضع ثمار الجوز والفواكه على طاولات التقديم.

‘أنا المُكرِّس للطقوس اليوم. كنت أتمنى أن أقدم الأرز المطبوخ وثلاثة كؤوس من الشراب الروحى، ولكن مادامت أن هذه المرة ليست سوى شعائر مؤقتة، فسوف نقدم كأسًا واحدة. أنت تصب السوجو وأنا أقدمه.’

(٢١) بيغاسوس: حرفيًا، حصان يرمز فى كوريا الشمالية إلى رمز التقدم العاجل دون مهادنة فى بناء الأمة. (المترجم)

وعلى الرغم من أننا كنا نؤدى الطقوس من أرضٍ أجنبية، فإن ولاءنا لأعرفنا لم يكن معنوّاً بالقصور. والحقيقة أن عدم شعورى مطلقاً بالإجراج أو الوعى، برغم أن سائق التاكسى الذى أتى بنا إلى هناك ظل يرمقنا بفضول من خلف ضفة النهر وكذلك كان المارة يلقوننا بنظراتهم، يشير إلى أننى لابد كنت فى مغبة ما يشبه الحماسة الدينية التى تتجاوز مجرد ولاء الأبناء لأعراقهم. ربما أصابت أخى عدوى حماسى تلك، فكان يساعدنى دون أن يرتكب خطأ واحداً، حتى على الرغم من أن تعليماتى كانت تتطوى على الكثير من المصطلحات التى لم تكن مألوفة لديه.

غالبنى الأسى الحقيقى الذى ينتاب الابن الذى أفقده الموت والده بعد أن انتهت من تقديم الشراب، وغلفت المراسم بشبه انحناء. وأنا أميل برأسى لأنحنى، استقبلت بعينى منظر كوريا الشمالية، جمهورية أبى التى بدت كأنها تجلس القرفصاء وحيدةً بائسةً تحت سائر من الغبار. بدت لى كأنها صورة لحياة أبى فى كوريا الشمالية، فداهم الذبول قلبى.

وُلد ليصبح الابن الوحيد لأمٍ طموحة تَرملت وهى شابة، كانت طفولة أبى وشبابه مليئين بالقصص الأسطورية، نصفها قائم على وقائع لكنها طُعِمت كثيراً بالزخارف والقوالب الروائية. ثم بدأ حياته كأيدولوجى شاب. ورغم أن أعوامه الخمسة والثلاثين التى قضاها

فى النصف الجنوبى من شبه الجزيرة شهدت بعض العواوق والمخاطر، لكنها لم تُتَذَر باى فشل.

لكن كيف قد استعرض ماضيه خلال الأربعين عاماً التى قضاها فى الشمال وهو على فراش الموت؟ بالطبع لقد استرشد أبى بهدى أيديولوجيته المستتيرة. سمعت أن أبى قال لأمى ذات مرة إنه سيشعر بالامتنان إذا ما أصبح بواباً فى مدرسة ابتدائية، أو عاملاً فى مصنع، لو أن حلمه بالجمهورية كما تصوره أصبح حقيقة فقط. لكن هل داخله الرضا؟ الأسرة التى تركها خلفه لا بد قد أصبحت جرحاً نازفاً بالنسبة له لفترة طويلة. كان عليه أن يغير مسار تخصصه وهو فى الأربعين تقريباً، ثم قضى عشر سنوات يكافح من أجل البقاء. انحدر من مكانته كأستاذ فى الاقتصاد إلى مهندس مدنى وكان ذلك أفضل من أن يصبح بين عمال المصانع، ثم كبير المهندسين المدنيين. ثم اضطر إلى التحول إلى خبير فى الرى. حتى لو كان قد وجد هذا جيذاً فى لحظاته الأخيرة، فعندى الحق فى أن أقرر أن حياته اكتتفها الفشل والأسى، قلت لنفسى وأنا أحاول أن أحتوى دموعى التى كانت تهيم من عيني. فى سنوات طفولتى، عندما كانت تصلنا أنباء عن قلق على خط الهدنة، كنت أتخيل أبى وهو يقود قوة عسكرية متجهة صوب الجنوب معتلياً ظهر حصان أبيض. عندما بدأت تصلنا معلومات أكثر تفصيلاً عن مجتمع شمال كوريا وتضمنت الصحف أسماء النخبة الفاعلة والقوية فى كوريا الشمالية،

اعتقدت ببساطة أن السبب وراء غياب اسم أبى من قائمة أكبر مائة سياسى فى كوريا الشمالية هو انعدام الثقة فى المصادر الإخبارية أو شىء آخر. أثناء سنوات تكليفى معيذاً حصلت على وثائق عن تاريخ الحركة الشيوعية فى كوريا الجنوبية ولم أجد اسم أبى فى أى من قوائم اللجان التنفيذية ليس فقط فى اللجان الأساسية لحزب العمل الجنوب كورى، بل وفى أى من اللجان الهامشية، كنت واثقاً أن السبب فى ذلك هو إخفاء أبى لهويته، مثل كثيرين من كبار الأعضاء فى تلك الأيام. وقد كان هذا الاعتقاد بسبب حقيقة واحدة فقط: فبدون الإيمان فى أنه من العمالقة، لم تكن هناك طريقة لتفسير المعاناة والآلام التى عاشتها أمى، وأنا، وإخوتى. هذه المعاناة والآلام هى ما يمنحنى الحق، الآن، فى رثاء فشل أبى.

كنت أظن أننى أبكى فشل أبى، لكننى أدركت رويداً رويداً أننى كنت أبكى نفسى. بكيت على البؤس والآلام التى مر ماضئاً فى كنفها، لأنه لم يتبق لى أى تعويض من أى نوع، وبكيت على روحى التى شوهاها الكفاح من أجل البقاء، بينما أقسمت أن أظل حياً حتى "تلك اليوم". ومع حالة الهياج العاطفى التى تملكنتى مع مرور العمر، كنت أرعد وأنا أفكر فى الاتهامات الموجهة ضدى من قبل المؤرخين الراديكاليين والقوميين، اتهامات واجهتها بثقة فى ثمانينيات القرن الماضى. أخطأت الجيش الإمبريالى الجديد معتقداً أنه جيش التحرير، والمستعمرين الجدد على أنهم حلفاء الدم، وأنا مؤرخ

رجعى يرضع بجشع من ثمرة النمو الاقتصادى الذى تمخضت عنه الديكتاتورية العسكرية، التى جعلت الاقتصاد الكورى يعتمد تماماً على الدول المتقدمة.

طالت انحنائى بينما كنت أحاول السيطرة على مشاعرى. لكن أخى ظل ساكناً إلى جوارى وهو يخفض رأسه فى وقار، حتى سعلت سعلتين زائفتين إشارة إلى وجوب إنهاء انحنائنا. وبينما كنت أجمع ما قدمناه بعد أن مسحت دموعى، لاحظت أن الدموع تبلى خدى أخى أيضاً. لا بد أن ما اعترانى من أسى قد أصابه. ارتيمت جالساً على ورقة الجريدة المفرودة وأنا أشعر بحالة شديدة من الوجد الأخوى. رفعت الكأس التى لم تزل يحتوى على بعض الجوسو، وقلت:

‘هل تعرف أن الشراب الذى يُقدم للموتى لا بد أن يحتسيه خلفهم؟ إن هذا يُسمى "احتساء الكؤوس المباركة". تعال، لنشرب هذا الكأس الذى باركه أبونا.’

أدهشنى ما قاله أخى وهو يأخذ الكأس منى. ‘هل هذا سوجو جيبي وون؟’

‘كيف عرفت سوجو الجيبي وون؟’

‘أتذكر أبى وهو يتحدث عنه.’

ثم سأل بابتسامة خفيفة، وهو يلتقط جوزة لتناولها:

‘ألم يزل هناك الكثير من أشجار جوز فى التلال التى تقع خلف مسقط رأس أبى؟’

‘نعم، لقد تم استبدالها بسلالات أجود، لكن التلال لم تزال تلال الجوز. كيف عرفت عن هذه التلال؟’

‘أوه، أنا أعرف وادى الصنوبر، ونهير مقلع الأحجار، وجبل الشاشة الحمراء، وصخرة مشاهدة الأسماك المرحة’.

عَدَدَ أخى أسماء الأماكن فى مدينتنا الأم كأنه قد زارها عدة مرات. أحسست بوطأة مشاعر الوطن التى كان يعانيتها أبى من خلال حديثه عن وطنه مع أطفاله الذين لم يروا موطننا قط. سألت أخى رغبة فى الرد عليه بود:

‘هل تشينغ جين لم تزال باردة ومنسمة؟ يرياحها المحملة بالرمال التى تنسل إلى الفخاخ؟ وهل لم تزال هناك الساحة المعبدة بالحصى التى تمتد مسافة ثلاثة أميال؟ ومعمل التكرير الحديدى فى غريميتشايك لم يزل ينفث الدخان والغبار؟’

‘كيف عرفت عن هذه الأماكن؟’

‘كيف لا أهتم بالمكان الذى يعيش فيه أبى وعشيرتى؟ إننى أعرف جبل دابل سوالو وجبل الجمل ونهير سوسيونغ تشيون’.

بدا واضحاً أن أخى الصغير البرىء قد تأثر. أحسست بوخز الضمير عندما رأيت كيف أن أخى الأصغر قد تعامل ببقّة مع اهتمامى المزعوم. شعرت أننى أخدعه لغرضٍ ما. مما جعلنى أقتصد فى كلماتى أكثر فأكثر.

الآن وبعد أن انحنيت لأبى وبكىت أنا وأخى الأصغر، شعرت أكثر مع الأخير أننى فى وطنى. وقتئذٍ، كانت تستبد بى فكرة أننى يجب أن أحكم قبضتى الأخوية على أخى الأصغر. وحقيقة أنه كان أخى غير الشقيق فقط جعل مثل تلك المهمة من الصعوبة بحال. ولا بد أننى لهذا السبب كنت أقول أشياء لها أثرٌ مقصود وكنت أكثر ثرثرة من المعتاد. لكننى أحسست أننى لست مضطراً للشعور بالضجر أو القلق بعد ذلك. وعندما بدأت أصمت أكثر بدأ أخى يتكلم أكثر. بدا أن أخى ليس اجتماعياً بطبيعته، أيضاً، ولكن مع احتساء بعض البيرة والسوجو ومع يقينه من أخوتنا، بدا أنه فى حالة مزاجية لاكتشاف أسئلة ظلت فى جعبته طويلاً.

‘ماذا عن حقيقة كوريا الجنوبية بالفعل؟’

‘حسناً، الكثير من الأشياء البذيئة تحدث هناك، هذا حقيقى، لكن الناس يعيشون هناك’.

‘ماذا عن الحياة هناك؟ لقد سمعت بأشياء متناقضة عنها. وفقاً للـ “حقائق بشأن كوريا الجنوبية” التى تنشرها الحكومة، لا بد أنها

فقيرة بصورة تبعث على البؤس. ولكن من خلال ما قاله بعض الناس الذين سافروا إلى هناك، يبدو أن الأمر إلى حد ما على النقيض. وما سمعته هنا بالأمس أيضًا...

‘نعم، صحيح أن كوريا الجنوبية تعيش الآن حالة من الرخاء. لكن ليس ثمة ضمانات على استمرار هذه الوفرة والحبوحة. البعض يقارن هذه الوفرة التي تتمتع بها كوريا الجنوبية بما يتمتع به وكلاء أملاك الأثرياء. تعرفهم؛ هؤلاء الذين يقومون بجمع الإيجارات من الفلاحين المستأجرين نيابة عن الملاك الأصليين. لقد شبه الساخرون هذا بالمحظيات المتوحشات. تعرفين؛ نوع من النساء اللاتي ينفقن كل أموالهن في المأكل والملبس، حتى أنهن يقترضن لتحقيق هذا، بدلاً من التخطيط والادخار للمستقبل.’

عندما صارحته بأفكارى بوضوح، صارحنى أخى بأفكاره بوضوح أيضًا.

‘نعم، سمعت بهذه الانتقادات أيضًا، ولكن يبدو الأمر بالنسبة لى أنه لا يجب تناول الموضوع من هذا المنظور السلبي تمامًا. لو أننا نتقدم صوب اقتصاد سوق قائم على الملكية الخاصة، أليس من الأفضل أن نكون من الملاك بدلاً من أن نكون من المستأجرين؟ أليس وكيل الأملاك صاحب المركز المرموق أفضل من الفلاح المستأجر؟ بالتأكيد، لا ينبغي على المرء أن ينحط إلى الدرجة التي

تجعل منه محظية، لكننى أعتقد أنه بالإمكان النظر إلى وكيل الأملاك على أنه قد حقق نجاحاً معتدلاً فى العالم الرأسمالى. أعنى أنه فى مركز متميز فى بنية الاستغلال العالمى.

‘مهم بمكان أن أسمع هذه الكلمات تخرج من بين شفثيك. هل هناك كثير من الكوريين الشماليين يتبنون وجهة النظر هذه؟’ لم أستطع أن أمنع نفسى من طرح السؤال عليه. ثم بدا أخى مرتبكاً قليلاً وقال:

‘حسناً، فى الحقيقة أنا كنت أقتبس من كلام صديقى الذى يعمل فى هيئة العلاقات الاقتصادية الدولية. لقد خدم بالخارج لبضع سنوات، كسكرتير ثان مسئول عن التجارة. عندما سمعت هذا الكلام لأول مرة، خطر ببالى أنه يمكن أن يكون على صواب. لكننى لم أكن أعبر عن آرائى الخاصة بى أو أى شىء’.

‘يبدو لى أنه نظر فقط على الجزء المملوء من الكوب فيما يخص اقتصاد كوريا الجنوبية. أعتقد أن ما تصبو إليه كوريا الجنوبية - اللحاق بدائرة الدول المتقدمة، العولمة، والتطور من خلال التكنولوجيا. تلك هى شعارات هؤلاء المناضلين ممن يريدون أن يصبحوا بين ملاك الأراضي فى بنية الاستغلال العالمى، أليس كذلك؟ غير أن تحقيق تلك الأهداف ليس بسهولة التشدق بتلك الشعارات’.

لكنكم تتحققون بشكل جيد حتى الآن، أليس كذلك؟ خاصة إذا ما فكرت فقط في الاقتصاد'.

نحن ندير الأمور بمنتهى النجاح، لكن الضغط كبير. الدول المتقدمة تحاول تقييدنا، واعتمادنا يتزايد أكثر فأكثر عليها كلما تزايد نمو اقتصادنا'.

تعنى اعتمادكم على الولايات المتحدة الأمريكية؟ هل ينبغي عليكم البقاء تحت هذه العبودية الفادحة لهم'.

لقد وضعتى هذه الجملة في حالة من الحذر، لكننى لا أريد أن أتعامل بحذر وأنا أتحدث مع أخى. لذلك غالبيت فعلاً في مخاوفى بشأن الموضوع، بناءً على ما سمعت الآخرين يقومون بتريده.

نحن بصدد مشكلة خطيرة قوامها التبعية السياسية، أيضاً، غير أن التبعية الاقتصادية هى الأكثر خطورة. إن العقوبات السياسية ليست مرعبة جداً مقارنةً بالتهديد الاقتصادى للولايات المتحدة، المدعوم بالسوق الأمريكية الضخمة'.

إذن لماذا لا تضعون حداً للولايات المتحدة وتتمتعون بالاكتماء الذاتى؟'

'سيكون هذا مثل الفلاح المستقل الذى يمتلك بضع قطع من الأرض تمكنه من العيش فقط على الشعير الذى يجنيه من زراعته

هو، ويخزنه فى بيته الريفى. وهذا ما كنتم تفعلونه حتى وقت قريب جداً، أليس كذلك؟ إلى أى مدى كان هذا مُرضياً لكم؟
'بإمكاننا أن نفعل. لو أننا فقط كنا مسلحين روحياً'.

لكن صوت أخى لم يكن مشحوناً بالعزيمة وهو يتلفظ بتلك الكلمات مثل مذيعى التلفزيون فى كوريا الشمالية وهم يعلنون مثل هذه البيانات.

'آه! أنا لست على يقين. حتى اليابان، التى يعتبر اقتصادها أقوى منا بعشرة أضعاف، تلقت ضربة قوية عندما تمردت على الولايات المتحدة ذات مرة واضطرت إلى طلب العفو وهى راکعة'.

سعل سائق التاكسى، الذى كان يتقدم بخطواته على ضفة النهر متسجراً من الانتظار كى يعيدنا إلى حيث أتى بنا، بصوت عال ليذكرنا. تعجلت كى أنهض واقفاً، لأننا كنا قد شربنا كل السوجو ولأننا أيضاً كنا ننزلج على جليد خطر فى حوارنا.

'أتمنى ألا يكون الوقت قد تأخر عليك؟' سألت أخى. نظر فى ساعته فازداد توتره.

'أوه! من الأفضل أن أسارع بالعودة. لم أكن أعرف أن الوقت قد تأخر هكذا'.

ثم جمع معى ما تبقى من القرابين. كانت القرابين تضم ثمرة فاكهة واحدة قُطعت من أعلى ومن أسفل، بلح وجوز وبعض السمك المجفف، لكن الصرة التى جمعنا فيها الأشياء بدت أكبر مما أتينا بها. فقد مال كتف أخى الأيسر عندما رفعها.

‘هيا. أعطنى إياها. سأحملها.’

‘لا. يجب أن أحملها،’ قال، ونقل الصرة إلى يده اليمنى. ربما بسبب الشراب الذى أتينا عليه، كانت تدامنى ضلالات لحظية بأننا ننزل من التل الذى تستعمره قبور أسلافنا فى مسقط رأسنا بعد أن قدمنا قرابيننا الموسمية.

‘ليس من المفترض أن نعيد إلى البيت ما قد قدمناه أمام قبور الأسلاف. لابد أن نترك ما تبقى من القرابين لحارس المقابر، أملاً فى أن يوزع كعطية من الموتى. هل هناك من الأقارب من تهبه إياها؟ لو لم يكن لديك، فعلينا إذن أن نهبها للسائق.’

واصلنا حوارنا فى التاكسى خلال رحلة العودة. لكن، حتى على الرغم من أن أخى كان ثملاً بشكل واضح، لكنه كان فى غاية الحذر فيما قاله. فقد دافع عن نظام الحكم بهذه الطريقة:

‘لماذا تصم مثل هذه الحماقة حكام كوريا الجنوبية؟ أعنى، فيما يخص الأسلحة النووية. لو أننا الآن طورنا أسلحة نووية، وحدثت

الوحدة المتوقع حدوثها ذات يوم، فإن كوريا الجنوبية ستصبح دولة نووية بالمجان. لماذا ينبغي على ساسة كوريا الجنوبية محاولة وقفنا وهو أمر ميئوس منه، تمامًا مثلما يفعل الأمريكيون؟ هل يخافون قيامنا بشن هجوم بالقذائف النووية على كوريا الجنوبية؟

حينئذٍ، عندما اعترضت على إيمانه العميق بنظام الحكم في كوريا الشمالية عندهم، لجأ إلى الخطابة الشمال كورية الفصيحة:

‘تعرف، نحن في الشمال نعيش حالة متكاملة من الالتحام بالأرض. في تشيونغ جين، حيث أعيش، أرى آثارًا لكذّي وإخلاصى فى مكان أذهب إليه. ساعدت فى بناء ضفة نهر السوسيونغ، وأعدنا بناء مخبأ من الغارات الحربية وحولناه إلى مدرسة ثانوية فى جبل الجمل، وأثناء فترة الدراسة ساعدنا أيضًا فى زراعة شجيرات فى ساحة لانام، ولذلك بإمكانى القول إننى وطأت كل بوصة فى هذه الساحة، أستطيع أن أتفاخر فعلاً بأن كل شارع، كل رصيف، وكل خط سكة حديد فى تلك المدينة قد تلقى قدرًا من كذّي واهتمامى. نفس الأمر مع الجميع فى كل القرى والمدن التى ينتمون إليها. لقد منحوا عنايتهم لكل ورقة عشب وكل شجرة تنمو فى بيوتهم.’

كنت ممتنًا لأن أختى لم بغضبنى بإنشاده مدائح فى محبة ‘القائد الأعظم’ و‘القائد المحبوب’. لم تكن لدى رغبة فى خلخلة إيمانه الراسخ فى فضائل النظام الذى يعيش تحت حكمه. ليس مهمًا ما إذا

كان يؤمن بما قال بكل جوارحه، أو أنه مجرد إيمان تسرب إلى داخله بال تكرار، لكننى اعتبرته محظوظاً لقدرته على الحفاظ على إيمانه وعاطفته تجاه نظام الحكم فى بلاده. وعبرت عن تعاطفى.

عندما اتجه التاكسى إلى مدينة يان جى تذكرت أن تلك المرة ربما تكون اللقاء الأول والأخير بأخى، فمنى داخلى شعوراً بالاضطراب والكرب، مثل شخص نسى أن يؤدى شعيرة إجبارية.

سأعادر المكان هنا غداً فى الصباح. هل بإمكاننا أن نلتقى ثانية؟ استطعت أن أتلفظ بالسؤال فقط عندما لاح الفندق فى الأفق فى نهاية الشارع، وعندما توقف أخى عن الكلام للحظة. أخى، الذى كان مستغرقاً فى الكلام، انتابته، فجأة، حالة من التوتر واستدار لمواجهةى، لكنه قال دونما ثقة:

‘لا أعرف. سأحاول المرور على الفندق ليلاً وغداً فى الصباح الباكر’.

‘حسناً، لو لم تستطع هذا، فليكن وداعنا الآن. ولا نعرف متى بإمكاننا أن نلتقى ثانية’.

ثم انتابنى الندم، لشعورى أننا قد أضعنا وقتنا الثمين معاً فى كلام لا طائل تحته. بدا أن أخى لديه نفس مشاعر الندم.

‘أنا واثق من أنه لن يطول الوقت. على يقين من أن شملنا سيلائم قريباً’. غير أن نبرة الصوت التى تحدثت بها كانت تعوزها

الثقة. ثقة داخلية كانت تداخلنى طيلة الوقت منذ أن التقيت أخى لكنها تنحت جانباً لفترة؛ جراء الاضطراب العاطفى الذى تلا شعائر إحياء الذكرى التى أديناها.

أحضرت معى من سول مبلغاً ضئيلاً بالدولار الأمريكى كى أهبه لأخى. لم أعتقد أن أخى يعانى ضائقة شديدة، بناءً على خلفيته الأسرية وتعليمه، حتى فى مغبة الضغط الاقتصادى الذى تمر به كوريا الشمالية، لكن من الممكن أن يواجه صعوبات لو انكشف أمر لقائنا. غير أننى، بعد أن التقيت به، لم أعد متأكداً ما إذا كان من الصواب أن أعرض عليه المبلغ من عدمه. لأنه بدا شديد الحساسية فيما يخص حالة الفقر التى تعيشها كوريا الشمالية مقارنة بالرخاء الذى تنعم فيه كوريا الجنوبية. لقد كنت أؤجل الأمر. أما الآن فينبغى اتخاذ قرار حاسم بشأن تلك المسألة.

وبينما كنت أحاول اتخاذ قرار، كانت السيارة بالفعل تدخل إلى ممر الفندق. اختلست النظر مرات لبروفيل أخى، كأبنى شخص ينقب عن مفتاح لحل لغز. لكن أخى نظر فى ساعته ثانية، وبسرعة نزل من السيارة. لم يكن فى وجهه ما يدلنى على أنه يتوقع منى إعانة مالية. فكرت فى أن أسأله ما إذا كان سيقبل هدية مالية منى، لكن كان الألوان قد فات على ذلك الآن.

نزلت من التاكسى بعده. أفلعت عن فكرة دس المظروف بما فيه من دولارات فى يده وأمسكت يده فقط. أخى، الذى بدا على وشك الإفصاح عن شىء ما، أجفل وأغلق فمه.

‘أهذا إذن سيكون وداعنا؟’

‘سأحاول... العودة إلى زيارتك مرة أخرى.’

‘لا ترهق نفسك بالمحاولة. كما نقول، ستتوحد بلادنا قريبًا. وقتئذٍ، سيمكننا أن نلتقى أنى شئنا.’

لا أعرف ماذا فعل فى لجنة المنظمة فى اتحاد الصناعات، لكن يد أخى كانت أحسن مما أتوقع. مسدت يده بيدي الأخرى وودعته.

‘إلى اللقاء واهتم بنفسك. أنا واثق أن روح أبى ترعاكم جميعًا. كن حذرًا فى كل شىء واهتم بنفسك.’

شعرت ببالغ الأسى لفراقنا، وكان شخصًا ترك أخًا عاش معه طويلاً، دونما يقين بلقاء فى المستقبل. اغرورقت عينا أخى بالدمع أيضًا.

‘أنت أيضًا اهتم بنفسك كثيرًا، يا أخى.’

‘من فضلك، بلغ محبتى لباقي إخوتى وأخواتى’. ثم أضفت، وكأننى قد اتخذت قرارًا مميًا. ‘ولأمنًا أيضًا.’

أحد الأمور التي لم أكن متيقناً منها بعد أن قررت الالتقاء بأخي كان الكيفية التي أنادى بها أم أخى. هل ألقبها بـ "أمى فى الشمال"؟ أم "زوجة أبى"؟ غير أن أيهما لم يكن لقباً مناسباً. لذلك، كنت أستخدم كلمة "أمك". لكنها أصبحت "أما" فى عطفى لحظة حان فراقى عن أخى.

فى القوانين الشرقية القديمة، كانت هناك حالات استثنائية تُمنح فيها الزوجة الشرعية الثانية لقب الأم. وأيضاً بالنسبة لحساسيتى العقلية الحديثة، فإن أم أخى مؤهلة تماماً لأن أعتبرها أمى. غير أننى اندهشت لأن كلمة "أما" انزلت من فمى بطريقة طبيعية جداً، وارتعشت. أخى أيضاً انتابته حالة واضحة من الجيشان العاطفى. فقد تعافى وجهه الغائم بالكحول من حالة السكر فجأة، ورمقنى للحظة ثم انحنى.

‘من فضلك، بلغ أختى وأخى وأبناءهم وبناتهم خالص محبتى. وكذلك أما أيضاً’.

كلمة "أما" بدت وقد انزلت من فمه بصورة طبيعية للغاية أيضاً.

كان بهو الفندق يضج بوصول فوج سياحى جديد. بدا الفوج كبيراً؛ وكان هناك ما يقرب من عشرين رجلاً وامراًة أو أكثر

يُتَحَقَّقُونَ مَا إِذَا كَانَتْ حَقَائِبُ سَفَرِهِمْ قَدْ وَصَلَتْ أَمْ لَا. عَرَفْتُ مِنْ لَهْجَاتِهِمْ فِي هَتَافِهِمِ الصَّاحِبِ أَنَّهُمْ مِنَ الْأَقَالِيمِ.

فِي وَقْتٍ مَا كُنْتُ أَسْعِدُ بِمُقَابَلَةِ السَّائِحِينَ الْكُورِيِّينَ عِنْدَمَا يَسَافِرُونَ لِلخَارِجِ. كُنْتُ أَتَقَدَّمُ صَوْبَهُمْ، رَغْمَ أَنَّهُمْ عَادَةً مَا كَانُوا غُرَبَاءَ عَنِّي تَمَامًا، وَأَسْأَلُهُمْ مِنْ أَيْنَ أَتَوْا، وَإِذَا صَادَفَ أُنْثَى أَكُونُ قَدْ قَضَيْتُ بَضْعَةَ أَيَّامٍ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ، كُنْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَصِيحَتِي بِشَأْنِ الْأَمَاكِنِ الْجَدِيدَةِ بِالزِّيَارَةِ. وَلَكِنْ مِنْذُ فِتْرَةٍ مَضَتْ، شَعُرْتُ بِأَنَّ اللَّقَاءَ مَحْرَجٌ، وَانْتَهَى الْأَمْرُ بِتَجَنُّبِي الْحَدِيثَ إِلَى الْجَمِيعِ.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُنْتُ عَلَى قَدِيمِ طِبَاعِي فِي تِلْكَ الْمُنَاسَبَاتِ. كَرِهْتُهُمْ مِنْ لَحْظَةٍ سَقُوطَ عَيْنِي عَلَيْهِمْ. كُلُّ الرِّجَالِ كَانُوا يَرْتَدُّونَ جَوَاكِبَ سَفَارِي، وَكَأَنَّهُمْ سِيْذَهِيُونَ إِلَى جَبَلِ بِيْكَ دُو لَصِيْدِ النَّمُورِ، وَجَمِيعُهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ آلَاتَ تَصْوِيرٍ تَتَدَلَّى مِنْ رِقَابِهِمْ. أَكْثَرُ مِنْ نِصْفِ آلَاتِ التَّصْوِيرِ كَانَتْ آلَاتُ تَصْوِيرٍ فَيْدِيُو يَابَانِيَّةِ الصَّنْعِ. جَمِيعُهُمْ، كِبَارًا كَانُوا أَمْ صَغَارًا، كَانُوا يَرْتَدُّونَ بَنْطُلُونَاتٍ أَوْ شُورْتَاتٍ جِينِزَ، وَأَحْذِيَّةَ تَنْسَ شَيْبِرَةَ الْمَارِكَةِ. كَانَ هُنْدَامُهُمْ عَلَى مَسْتَوَى اللَّوْنِ، وَالتَّصْمِيمِ يَرُوجُ لَذَائِقَةُ فَجَةٍ مِنَ الْفَرَاغِ وَالرِّيَاضَةِ الْغَرِيبَةِ، وَكَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَسْرِ ضَلَالَةٍ مَا قَوَامُهَا أَنَّ الْخُرُوجَ لِلسِّيَاحَةِ يُحْتَمَ عَلَيْكَ أَنْ تَتْرَكَ خَلْفَكَ مَا تَرَبَّيْتَ عَلَيْهِ مِنْ وَقَارٍ.

بدا أن معظمهم كانوا أزواجًا، ولذا بدا أن معظم النساء من سيدات البيوت، ولكن لم تكن بينهن من ترتدى جونلة ملائمة. كلهن، كبيرات وصغيرات، كن يرتدين إما بنطلونات ضيقة تكشف عن قوامهن الذى تعوزه الرشاقة، أو شورتات لا تغطي حتى رُكبهن. حتى عندما ترتدى ملابسك بغرض السفر، فمن الممكن أن ترتدى ملابسك بشيء من الأناقة والوقار.

كانوا يتصرفون وكأن الفندق أحد ممتلكاتهم. الرجال يقفون فى مجموعات من ثلاثة أو أربعة أفراد يتحدثون باهتياج، دون مراعاة ما إذا كانوا مصدر إزعاج للضيوف الآخرين فى الفندق أم لا، بدت النساء وكأنهن يقلدن حركات نساء خليعات فى أفلام السينما الغربية، يجلسن وهن يضعن ساقًا على أخرى على الأريكة يكشفن عن أفخاذهن أو يرخين سيقانين على حقائق السفر، وكأنهن فى غرف المعيشة فى بيوتهن. لقد كن بلا شك يتفاخرن برخانهن القومى، غير أن ما انطوى عليه سلوكهن من لا مبالاة وتهتك أثار تقزى.

لكننى لم أسمح لهن بملاحظة تقزى، لذلك مررت بالردهة وعلى وجهى ما استطعت من أمارات التظاهر بعدم الاهتمام، وكنت متجهًا صوب المصعد عندما نادانى شخصٌ ما محيياً: "كيف حالك؟"

نظرت إلى الخلف، معتقدة أن هذه لهجة شمال كورية غالبًا ما تُسمَع فى يان جى، لأجد أنه "رجل الوحدة التابع لنا" الذى تخلف عن

الفوج وظل في الفندق، مثلي، ولكنني لم أراه خلال اليومين الأخيرين. أعتقد أن لهجته كانت تشبه لكنة الناس في كوريا الشمالية لأنه نطق التحية بمنتهى التهذب. هندامه كان على النقيض تمامًا من هندام السائحين، فقد كان يرتدى بدلة رمادية رسمية وربطة عنق بنية اللون وحذاء جلدًا أسود. يبدو أنه كان يؤكد على كرامته واعتداده بنفسه باختيار ألوان ملابسه.

‘آه! رائع! شكرًا لك. سمعت أنك كنت تخلفت عن الفوج. ماذا عن سير أمورك؟’ أجبت، ولاحظت شيئًا غريبًا عندما اقترب؛ بقعا عديدة الألوان لطخت جاكته بدلته وقميصه، كأن هناك بعضا من طعام قد وقع عليهما ونُظِفَتَا على عجل. عندما وقف بجانبى ظننت أن باستطاعتي تَسْمُ رائحة الطعام.

‘أوه! هذه البقع؟ لقد وقع الطبق من النادل علىّ في الغداء...’

لاحظ الرجل تعبيرات وجهي فهم بالتوضيح. لكن توضيحه لم يكن مقنعًا بما يكفي. لماذا كان النادل يرفع الطبق أعلى رأس هذا الرجل؟ لم أستطع التوقف عن التساؤل. فالبقع كانت على ياقة قميصه أيضًا. ولكنني قلت وأنا أخفي أفكاري:

‘أظن أنه كان من الأفضل أن تطلب من الفندق تنظيف قميصك وجاكتك في الحال، لو لم يكن لديك طاقم إضافي. أنا واثق

أنهم كانوا سينظفانها لك مع صباح غد. مادمننا سنتوقف فى بكين لليلة، فسيكون هناك فرصة لارتداء ملابس رسمية هناك’.

‘وهو كذلك. فى بكين سوف أذهب لزيارة بى هوايين والمقابر الثلاث عشرة لأباطرة المينغ مع جميع الناس، لذلك سوف أرتدى ملابس رسمية’.

بينما كان الرجل يقول هذا بطريقة مشوية بعدم اكتراث مزعوم، انفتح باب المصعد. ضغطت على زر الطابق الثامن، وضغط هو أيضاً على الزر الخاص بطابقه. ثم استدار إلى وسأل: ‘هل تنتظر شخصاً ما؟’

تذكرت أن مستر كيم كان سيأتى لزيارتي، ولكن لأنه قال إنه سوف يأتى بعد العشاء، فقد قلت: ‘لا، ليس الآن تحديداً’.

‘إن، ما رأيك فى الذهاب إلى ردهة الانتظار للدردشة، بدلاً من مجرد الجلوس فى غرفتك وحدك؟ مجموعتنا لن تعود قبل حلول الليل. يبدو أنك قد تناولت الكثير من الشراب بالفعل. سأشتري لك بعض البيرة. ما رأيك فى هذا، يا بروفيسور؟’

نظرت إليه باندعاش لأنه نادانى بلقبى المهنى. ابتسم وقال: ‘أنا أعرف من البداية. أنا لا أحد، ولكن لى اهتمام خاص بالتاريخ، لذلك — أنت بروفيسور بى هايونسيوب من جامعة دايهان، أليس كذلك؟’

وقبل أن أتخلص من ارتبأكى، توقف المصعد عند الدور الثامن وانفتح الباب. ضغط الرجل زر إغلاق الباب دون الرجوع إلى وضغط على زر الطابق العلوى.

كانت الردهة خالية تقريبًا من الناس مقارنةً بالكافيتيريا فى الطابق الأرضى. جلست إلى جوار نافذة تطل على منظر جميل، ينتابنى شعورٌ بأننى سجين. بالطبع، كان من المرجح بشكل كبير لو أننى لم أصادف هذا الرجل كنت سأصعد إلى ردهة الانتظار لتناول شراب، لأتخفف من ضيقى بعد رحيلى عن أخى بهذا الشكل.

أمر رجل الوحدة لنا بثلاث زجاجات من البيرة وبعض المزات بنظرة واحدة إلى للتأكيد على استحسان الفكرة ثم غغم بتكشيرة غاضبة:

‘لا بد أن اللص يخطط لشيء ما كبير فى هذه اللحظة. كان ينبغي على الصعود إلى الغرفة لوقف ذلك.’

‘ماذا تعنى؟’

‘ذلك اللص الذى تخلف معنا عن الفوج. قال إنه قد دار بينكما حديث فى الكافيتيريا بالأمس.’

‘أوه! تعنى رجل الأعمال. نعم لقد دار بيننا حديث قصير.’

‘رجل أعمال؟ إنه لص. هل تعرف لماذا هو هنا؟ إنه هنا لتهديب الآثار. محله فى إنسا دونغ مجرد غطاء يمارس من خلفه حفر القبور وتهديب الآثار.’

حينئذ فقط أفقت من صدمة أن رجل الوحدة يعرفنى منذ البداية ولكن لم أتلّق إشارة بهذا حتى وقتئذ. أعتقد أن المؤرخ داخلى قد استشعر إنذاراً بالخطر مع فكرة حفار القبر ومهرب الآثار.

‘هل الأمر كذلك؟ لكن أعتقد أن تهريب الآثار ليس بهذه السهولة هنا. أعنى أن ضباط الجمارك الصينية لابد أنهم خبراء فى معرفة الآثار. تعرف أنهم اضطروا لفترة طويلة إلى الوقوف ضد شبكة ضخمة لتسريب الأصول الثقافية.’

‘نعم، الآثار التى تخص بلادهم. لكن أمثال هذا اللص لا يتاجرون فى الآثار الصينية. لذلك فالجمارك الصينية لا تعرفهم.’

‘ألا يعتبر الصينيون آثار جوجوريو^(٢٢) وبوهاى^(٢٣)، من آثار حضارتهم؟’ قلت، معتقداً أن تاجر الآثار لابد وقد أتى إلى هناك ليفتش عن الممالك الكورية القديمة التى قامت فى إقليم مانشوريا.

‘آه، اللص يجمع الأوانى الفخارية والمخطوطات واللوحات الخاصة بـ “بى دايناستى”.’

(٢٢) جوجوريو (من ٣٧ قبل الميلاد إلى ٦٦٨ ميلادية) كانت أولى ممالك ثلاث، وكانت الكبرى من حيث المساحة، وامتدت على جزء كبير من مانشوريا وأجزاء من الأراضي الصينية. فى أوج مجدها استطاعت تحت حكم سيو وتانغ أن تتدحرج الغزاة، لكنها أصيبت بالضعف بسبب ما ابتليت به من انقسام داخلى. (المترجم)

(٢٣) دولة أسستها النخبة الحاكمة فى جوجاريو بعد خروجها إلى سيللا. الطبقة الحاكمة فى فوهاى تتحد من أصول كورية، غير أن أغلبية سكانها من خيتان، لذلك بدأ المؤرخون الكوريون مؤخراً فى الاهتمام بدراسة فوهاى (٦٩٩ - ٩٢٦). (المترجم)

‘هل هناك ما يكفى من هذه الأشياء فى يان جى بما يجعل رحلته مربحة؟ أعنى أن معظم الناس هنا ينحدرون من هؤلاء الناس الذين نزحوا إلى هذه المنطقة أثناء الاحتلال اليابانى لأنهم كانوا يعيشون حالة من الفقر المدقع. لا أعتقد أن هؤلاء الناس قد أحضروا معهم فخاريات ولوحات ثمينة، بينما كانوا مضطرين لقطع ألف كيلو متراً سيراً على الأقدام، وهم يتسولون’.

‘هو وأمثاله لا يجمعونها من هذا الإقليم بل من كوريا الشمالية. لقد صُدمت، ومن الواضح أنه فعل نفس الشيء مرات عديدة من قبل’.

حينئذ فهمت. حسناً، مادامت هناك طرق للتسلل بأشخاص من كوريا الشمالية، مثلما فعل مستر كيم مع أخى، فلا بد أن هناك طرقاً لتجريب الأشياء، لكننى لم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير بفضول فى الوسائل.

‘كيف يفعلون ذلك؟’

‘هذا ما جمعت معلومات بشأنه فى العامين الماضيين. فى البداية تتعرف على شخص له أقارب فى كوريا الشمالية أو من يستطيع الدخول والخروج للقيام بأعمال تحت مظلة القانون، ويعطونه مبالغ طائلة. ثم يشتري هذا الرجل أى شىء قديم يراه فى كوريا الشمالية، يستطيع أن يشتريه بقليل من الدولارات. ثم يحضرها إلى

هنا، وهو يخفيها كأنها أدوات منزلية. يبدو أنه بسبب الجودة العالية للطين في كوريا الشمالية، فهناك عدد من أفران الفخار في كوريا الشمالية. بعضها تنتج أواني فخارية على أعلى درجة من الجودة، مثل ذلك الأتون الموجود في جبل غاير يونغ في الجنوب. لنر... سمعت أن هناك واحدًا منها في مكان ما بإقليم هامغ يونغ. ويبدو أن هناك عددًا كبيرًا من اللوحات والمخطوطات والكتب القديمة يملكها مدنيون عاديون لم يتم تصنيفها على أنها مقتنيات أثرية لابد أن توضع في حوزة الحكومة في كوريا الشمالية ولكنها تساوى كومة من المال في كوريا الجنوبية. قال اللص إنه من الممكن أن يحصلوا على لوحة فنية من إبداعات غايوم جي أو دان وون مقابل ألف دولار لبيعها مقابل بليون وون في سول، وإنه ذات مرة قايض نسخة من الكتاب المقدس مطبوعة بالحروف الذهبية بطفاهة أرز كهربائية وباعها بربع بليون'.

‘لكن كيف يتسللون بها إلى خارج كوريا الشمالية؟’

‘لا يبدو أن هناك دقة في التفتيش الجمركي على الحدود الصينية — الشمال كورية. يبدو أنهم لا يهتمون كثيرًا بالمقتنيات الأثرية التي لم يتم تصنيفها ضمن الممتلكات الثقافية القومية، والدولار الجبار بإمكانه أن يضطر ضباط الجمارك إلى غض الطرف، أيضًا’.

لم أكن بحاجة إلى الاستماع أكثر من ذلك. لم أستطع إلا الاندهاش من روح المغامرة الرأسالية التي تستطيع أن تفتح الأبواب لأى عملية وكل عملية تؤدي إلى التبريح الضخم. لوى رجل الوحدة زاوية فمه وعرض معلومة أخرى أيضا:

‘حسنا، صديقنا يمتلك مهارات أخرى أيضا. إنه متزوج أيضا من امرأة محلية’.

يبدو أن هذا ما كان رجل الوحدة يريد أن يتحدث عنه فعليا.

‘امرأة محلية؟’

‘لديه شابة صينية كورية تعمل كوسيط. لا أعرف كم من المال يعطيها، لكنها لا تحاول حتى إخفاء حقيقة أنها خيلته. يقول إنه قد عينها معه أصلاً فى رحلته الأولى إلى هنا كمترجم شخصى وسكرتيرة. ليس لى أن ألومها لو كانت فتاة صينية. لكن أن يجعل من شابة كورية ألعوبة بهذا الشكل! لقد خرج معها ليلة أمس وظلا بالخارج، ورأيتها اليوم، مرة ثانية، فى الغرفة’.

جفلت لقوة المال، التى يمكن أن تحول أى شىء تحت الشمس، حتى الآدميين، إلى سلعة. ولكن مادام وضعى المهنى معروفاً لرفيقي هذا، فقد ترددت فى الانخراط معه فى نسيمة قدرة. عندما انتهينا من شرب ثلاث زجاجات من البيرة الكينغاتو، وكنت قد شربت قدراً كبيراً من البيرة والسوجو من قبل، كنت لم أزل أتمتع بما لدى من

الحذر والتعقل. لذلك، وعلى الرغم من أن رفيفى بدا فى حالة مزاجية تؤهله لمزيد من النميمة الداعرة، فقد غيرت الموضوع بأن سألت: 'ما أخبار مشروع الوحدة؟'

لقد كررت دون تفكير المصطلح الذى كان تاجر الانتيكات قد استخدمه بشأن ما يقوم به رفيفى من نشاطات، لكن الرجل أخذ موقعاً دفاعياً على الفور، وقد هاجسه الشك فى السخرية منه.

'آه! لابد أن اللص قد أعطاك أفكاراً خاطئة عني. كيف يمكن لرجل جاهل مثلى ولا حيثية له أن يعمل فى مشروع للوحدة؟ ماذا قال اللص بالضبط؟'

'أوه! أنا آسف، لم أقصد الطعن فى أنشطتك على الإطلاق. لكننى فقط استخدمت مفردة يسيرة أو ملائمة. لكن... أليس هذا ما يستغرقك؟'

لم يأخذ الرفيق موقعاً من المصطلح أبداً. بدا أن المصطلح الذى استخدمته كشئ ذكرته به الكلمات ليس هو بالضبط ما جعله عنيفاً.

'أوه! لا حاجة لك بالاعتذار. أنا فقط ألتقى بهذا وذاك أملاً فى المساعدة فى تحقيقها، لكننى لم أحقق بعد نتائج ملموسة. أعتقد أنه كان من الأفضل لى أن أذهب وأرى البحيرة.'

‘لكن لا أعتقد أنك كنت تضرر أية نية في الذهاب إلى البحيرة من البداية’، قاطعته بملاحظتي العابرة تلك. بدا وقد جفل فجأة. وبسرعة ادعى الهدوء، وقال:

‘ظننت أنك لم تلاحظ، لكونك أكاديمياً. لكن لديك عينان حادتان. حسناً، ليس لدى ما أخفى. في الحقيقة، المنظمة التي كنت أعمل معها لعدة سنوات قد انحلت، وذلك لتشكيل هيئة عالمية الناس في بلاد عديدة ومن كل طبقات المجتمع الراغبة في الإسراع بيوم الوحدة. ولأن هذه المدينة على درجة كبيرة من الأهمية الجغرافية، فقد أرسلت إلى هنا لإقناع الشخصيات الكورية المهمة التي تتحدر من أصول كورية بالانضمام للهيئة الجديدة. مهمتي هي مقابلة هذه الشخصيات المهمة في هذا الإقليم ممن كانوا على علاقة بنا من قبل، والبحث عن شخصيات جديدة باستطاعتها دعمنا والعمل معنا. لقد انضمت للفوج كي أضفى شيئاً من الغموض على شخصي ومهمتي. مبعوثنا في الولايات المتحدة ذهب إلى هناك بنفسه، لكن مندوبنا إلى روسيا انضم إلى فوج سياحي متجه إلى موسكو ومنطقة طشقند. ولكن، على الرغم من أنني التقيت عدداً من الناس بالأمس واليوم، فليس من فهموا أهدافنا واتجاهاتنا بالعدد الكبير’.

‘هل من الممكن أن يكون اتجاهكم قد تغير أو تناقضت أولوياته؟ أعني، هل من الممكن أن يكون تناولكم للمشكلة ذا منظور سياسي بحت؟’

لابد أننى قد صرت ثملاً. فالموضوع ليس بالأمر الذى يمكن مناقشته فى هذه السياقات البسيطة، ولكننى تذكرت ما قد قاله وكرره قليلاً أو كثيراً تاجر الأنثىكات أول أمس. لابد أن صاحبى قد استغرقته حالة من السكر الشديد. فقد كان رد فعله غاية فى العنف.

‘أه! تقصد أن المشاكل الاقتصادية لابد أن توضع فى الاعتبار أولاً عند التفكير فى الوحدة؟ وأن ذلك الكلام عن الوحدة دون أخذ التبعات الاقتصادية فى الاعتبار بجدية ليس سوى نوع من الحماس والرومانسية، وهكذا؟ هل تتبنى وجهة النظر هذه أيضاً؟ لكن من الأفضل أن تضع هذا جلياً فى ذهنك. كل هؤلاء الذين يقولون بحتمية وضع الاعتبار الاقتصادية فى الحساب أولاً هم مجموعة من المحتالين أو من اليمينيين المتطرفين ممن يصرون على أن تقوم كوريا الجنوبية ببساطة بامتصاص كوريا الشمالية’.

ثم استعاد هدوءه قليلاً وأصبح يتناقش بصورة منطقية أكثر.

‘إن وحدة نصفى كوريا عودة للطبيعة ولجوء للعدل، لأن أمتنا فى الأصل كانت واحدة وأرضنا كانت فى الأصل واحدة. لذلك، فهؤلاء الذين يلصقون شعاراً سياسياً على الجهود الرامية للعودة إلى دولتنا الطبيعية الأصلية، ويذهبون إلى أن الاستعدادات الاقتصادية وتحقيق نوع من الانسجام الثقافى ينبغى أن يسبق الوحدة، هم من لا يريدون لها أن تتحقق. إنهم يتظاهرون بالحذر والعقلانية، لكن

لديهم دوافع أخرى. خاصة هؤلاء الذين يصرون على أن الاستعدادات الاقتصادية لابد أن تكون لها الأولوية، ليسوا سوى شياطين الإمبريالية من يودون الانتظار حتى تستسلم كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية، ومن ثم يربحون مستعمرة بحجم كوريا الشمالية، مما سيضاعف حجم أسواقهم ويهددهم ٢٠ مليون مستهلك جديد. لو لم يكن الأمر كذلك، فلماذا تأتي الظروف الاقتصادية في كوريا الشمالية وقدراتنا الاقتصادية على أعلى مستوى من الأهمية؟ لو اعتبرنا أبناء كوريا الشمالية إخوتنا حقاً، فكيف نتحدث إذن عن تبعات الوحدة وما إلى ذلك؟ أليس من واجبنا أن نتقاسم مع إخوتنا كل شيء؟'

‘حسناً، في هذه الأيام، حتى أبناء الدم الواحد من نفس الآباء يتقاسمون كل شيء بالتساوي. حتى ألمانيا، التي كانت مستعدة بدرجة أكبر منا، عانت من مشاكل عديدة بعد الوحدة. واليمن، التي توحدت سياسياً في البداية، تبدو أنها مقدمة على حرب أهلية’.

على عكس حالتي عندما تحدثت مع رجل الأعمال أول أمس، كنت أتكلم منتصفاً للاستعداد الاقتصادي. أعتقد أنه كان من السهل عليّ أن أغير الأبعاد والمنظور لأنني لم أفكر بجدية في الوحدة من قبل. أصاب الهياج والغضب صاحبي مرة أخرى.

‘إن ذلك، من وجهة نظري، ليس سوى هراء. انظر. هل تظن أنه سيأتي يوم يتمنع فيه الجانبان بالتكافؤ الاقتصادي والتناغم الثقافي،

ومن ثم لا يكون هناك مشكلة من أى نوع بعد الوحدة ولا يوجد سوى المكاسب والمتعة لينعم بها الجميع؟ هل هؤلاء الذين يؤمنون بنظرية تقديم الاستعداد الاقتصادي على أى شىء يعتقدون فى أن مثل هذا اليوم سيأتى؟ إنهم يعرفون أكثر منا أن هذا اليوم لن يأتى. ولهذا السبب تحديدًا يصرون عليه. لذلك، أليس الرأى الأكثر نبلاً يقتضى أن تتحقق الوحدة أولاً، أيًا كانت المشاكل التى ربما نواجهها كتبعات، يا بروفيسور؟

لكن ماذا لو أفضى الأمر إلى موقف على شاكلة الصراع الإيديولوجى الذى تلا تحررنا من اليابان والحرب الكورية وتبعاتها؟ كان بإمكانى أن أسأل، لكننى كنت أشعر بالإجهاد. والحقيقة أننى كنت دائمًا أشعر بأننى غير مؤهل لتقديم بدائل أو خيارات بشأن الوحدة والقضايا الإيديولوجية المرتبطة بها. فالوعى، الذى أحيانًا ما يشبه عقدة النقص، ربما يكون له جذوره فى وعى بذاتى كأحد أبناء شيوعى مرتد، أو الاقتناع الراسخ بذنب أصيل فى الذهن أدى إليه التعليم الصارم المناهض للشيوعية الذى تلقيناه جميعًا فى طفولتنا. على أية حال، دائمًا ما كنت أشعر بالإرهاق فى كل وقت أضطر فيه لحضور مناقشة إيديولوجية. لذلك حاولت أن أغير مسار الحوار، لكن دون قصد منى أثرت غضبه وسخطه.

‘حسناً، ليس الأمر هو أنني بالفعل أعارض المنهج السياسي.
أنا فقط أردت ما سمعت من الآخرين. أملاً في أن تراه جديراً بإمعان
النظر.’

لم أكن بالضرورة أفكر في تاجر الآثار عندما قلت "الآخرين".
لكن صاحبي قرر على الفور أنني قصدت تاجر الآثار. جفل وقد
شاعت قرمزية الدم في وجهه، ورفع صوته.

‘هذا ما قاله اللص، أليس كذلك؟ لقد تلفظ بكثير من السخرية
طيلة يوم أمس عليّ، وأظن أنه أساء الحديث عني أمامك. هكذا
يتعامل هذا النوع من الناس مع من يرونهم أكثر حكمة ووقاراً،
فيربك المواطنين الطيبين بإعلانه عن أهمية الحذر والحرص في
قضية الوحدة. لماذا دائماً يستفيد الرديئون من الناس من أى تطور
جديد؟ فبمجرد أن بدأ الجنوب في إقامة علاقات مع يان جى، أتى
أمثال هذا اللص إلى هنا وأفسدوا إخوتنا الأبرياء. أمثاله أعطوا أبناء
كوريا الشمالية مصروف جيب في مقابل نهبهم والاحتتيال عليهم،
ولذلك فالكوريون هنا يسعون فقط للمال، ولا يعبنون بمسقط رأسهم
أو أمتهم. للصوص من أمثاله الآن يخترقون كوريا الشمالية. في هذه
اللحظة، أقصى ما فى إمكانهم هو تهريب الآثار، لكن لك أن تتخيل
فقط ماذا يمكن أن يحدث عندما ينهار الشمال ويمتصه الجنوب.
خلال ثلاثة أشهر فقط، لصوص كوريا الجنوبية من أمثاله سيقومون
بشراء جميع العقارات فى كوريا الشمالية، ويحصلون على امتياز

بالمعنى الناقص لامتلاك العقارات فى كوريا الشمالية. ليس هذا فقط، لكنهم سوف يمارسون المراهبة، ويتاجرون فى الجسد الأدمى، وسيسودون إخوتهم فى كوريا الشمالية كأنهم سادتهم الإقطاعيين. لماذا؟ سوف يتجاوزون اليابانيين فى القسوة والاستغلال. نحن ننتهم الشمال — كوريين بتشويه الطبيعة لأنهم حفروا أسماء كيم إل سانغ وكيم جونج إل على الجلمود، لكن لك فقط أن تنتظر وترى. بمجرد أن تدخل كوريا الجنوبية إلى الشمالية، ستُغطى كل الآثار الجميلة والمناظر الطبيعية الخلابة بالفنادق السياحية والفيلات الخاصة. لابد من التخلص من هؤلاء اللصوص قبل مجيء يوم الوحدة.

بدا لى أن رجل الوحدة وتاجر الأنثيكات منذورين للعداء. مثل هذه الأزواج موجودة فى العالم. رجلان قد أمعنا النظر كثيرًا فى أثام وخطايا كل منهما، ولا يمكن إيقافهما. بقدر ما أفهم، فإن أحدهما لم يكن يعرف الآخر قبل أن يلتقيا فى هذه الرحلة، ويتقاسما غرفة واحدة لمدة يومين، لكن رجل الوحدة بدا أنه ينظر إلى تاجر الآثار على أنه عدو أخلاقى.

فى كل الأحوال، ليس من المريح أبدًا أن تسمع شخصًا يتحدث عن الآخر بكل هذا العداء. حاولت بأقصى جهد أن أخلق الأعذار والدفاعات لكلا الجانبين، دون أن أعلن ما أتبناه مما يخصنى من أفكار، واستطعت أن أخلص نفسى من صاحبى فقط عندما بلغت الساعة تمام السادسة صباحًا.

أحسست كأننى ذاهب إلى بار، أترنج ثملاً، وأنهار بالفعل فى سربرى، لكننى قمعت رغبتي وعدت إلى غرفتي. سيأتى مستر كيم لاستلام القسط الأخير من أتعابه، ومن الممكن أن يعاود أخى زيارتي ثانية. وما يترتب على الإسراف فى الشرب لن يكون شيئاً جيداً لو طرت به إلى بكين فى اليوم التالى.

كان جيداً أن أقوم بالسيطرة على نفسى. دق مستر كيم بابى خلال نصف الساعة من العودة إلى غرفتي. انتهينا دون صعوبة من تصفية الحساب. ولأن مستر كيم كان جيداً على هذا النوع من الأعمال، فلم يبالغ فى التكاليف أو يَضخَم فى الصعوبات التى واجهها. وانتهى الأمر أن دفعت له أقل بكثير مما توقعت.

لذلك، فقد تبقى فى جيبى مبلغ من الدولارات أكبر مما توقعت، فكرت فى أخى ثانية. فكرت فى الحجج التى ستجعل إعطائى له المال وقبول أخى له أقل إرباكاً. لقد دفعت تكاليف جنازة أبى التى، بحكم أننى أكبر الأبناء، كان ينبغى على دفعها لو كنت أعيش معه، ولذلك خذ هذا المبلغ على سبيل التعويض...؛ لو أنك لسوء الحظ قد انكشف أمر لقائى بك هنا، فسوف تكون بحاجة للمال لإزالة سوء الفهم... لكن الملاحظة التى قالها مستر كيم وهو يغادرنى أحبطتني للغاية.

‘لا أظن أن أخاك سيتمكن من المجيء إلى هنا ثانية. في هذه الأيام يقوم المقيمون هنا بمراقبة الشمال كوريين ويكتبون التقارير عن أنشطتهم في مقابل الحصول على مكافآت. وعملاء الأمن السريين في كوريا الشمالية في غاية اليقظة في مراقبتهم أيضا. لقد خاطر كثيرا لأنه قضى معك وقتا طويلا اليوم. كان ينبغي للقائه بك أن يكون مقتضيا، ويقضى معظم وقته مع خاله، ويعود إلى البيت وهو يحمل معه الأشياء العادية التي يقوم الشمال كوريين بشرائها من هنا’.



لكن... عاد أخى ثانية. وعادت مجموعتنا من جبل بيك دو بعد الثامنة، وعدت إلى غرفتي بعد أن تناولت عشاء متأخرا معهم. بعد ذلك بساعة كنت أستحم في محاولة التخلص من أثر الكحوليات التي تناولتها خلال اليوم عندما قرع شخص ما بابى بعنف. بسرعة جففت نفسي وفتحت الباب لأجد أن أخى يقف بالخارج، وهو ثمل بشكل ملحوظ.

‘إنه أنا، يا أخى. ثمة شيء كان ينبغي أن أخبرك به’.

أدخلته بسرعة وأقفلت النافذة التي كانت قد فُتحت للتهوية. قال وهو يرانى أختبر الباب ثانية لأتحرى ما إذا كان قد انغلق جيدا،

‘لا تقلق. سيكون كل شيء على ما يُرام حتى لو أن عملاء الأمن القومي رأوني. ألن تدعوني إلى شراب، لو كان عندك؟’

أجلسته وفتحت الثلاجة. على العكس من الفندق الذى أقمت فيه قبل عامين، كان هناك العديد من المشروبات فى الثلاجة. ولأن أخى كان يريد شراباً قوياً، فقد أخرجت زجاجة ويسكى صغيرة وعلبة من البف المجفف المقدد.

‘حسناً، ما هذا؟’ سألت أخى، الذى كان يحتسى الويسكى دون أن يكثر بوضع أى ثلج.

‘لدى الكثير. إلى أى مدى كنت أكرهك وأحسدك...’ تنفس بصوتٍ مسموع وواصل كلامه.

‘هل تعرف ماذا كنت تمثل لى طيلة كل هذا الوقت؟ لقد حدثنى أبى عنك قبل موته بفترة قصيرة، لكننى كنت أعرفك طوال الوقت. اعتادتلى مشاعر غريبة فى منتصف نظرة أبى المعجبة بك. بدا أبى كأنه لم يكن ينظر إلى، بل إلى شخص آخر يقف خلفى. لم أكن أعرف من هذا الشخص عندما كنت طفلاً صغيراً، لكننى استطعت أن أؤمن منذ أن انتقلت إلى المدرسة المتوسطة. كنت أنت. ودائماً كنت أشعر أن أبى يقارننى بك. كان أبى يمتدحنى عندما كنت أسلمه بطاقة التقارير الدراسية بفخر، لكن عينا أبى كانتا تشردان

لثوانٍ معدودات. ربما كانت هناك بطاقة تقارير شخص آخر تتأرجح أمام عينيه. أحسست هذا حتى عندما كنت في المدرسة الابتدائية^{٢٤}.

استعدت ذكرى أوراق الامتحانات وبطاقات التقارير في طفولتي البعيدة، التي أذكرها بالكاد. نعم. دفترى الدراسى خلال ذلك العام أثناء إقامتنا فى قرية بالقرب من سول حيث كان أبى يحاول إخفاء نفسه كانت رائعة. ذات مرة، عندما سلمته ورقة امتحانى التى حصلت فيها على أعلى الدرجات للمرة العاشرة، حك أبى فكه الخشن فى خدى وجعلنى أصرخ. الدوائر الخمس متحدة المركز^(٢٤) التى تزين كل كراسات الواجبات المدرسية... لكن فيما بعد، لم تحقق درجاتى الدراسية مجد ذلك العام أبداً. وكأكبر أبناء أرملة فعلية عندها ثلاثة أطفال ينتقلون من مكانٍ إلى آخر يحتالون على المعيشة الصعبة ويغيرون مدارسهم كل عام مع فجوات زمنية كانت تمتد عدة أشهر بين الانتقال والأخرى، كان البقاء على رأس العشرة الأوائل أمراً غاية فى الصعوبة.

‘وليس هذا كل ما فى الأمر. لا أعرف شخصاً كان يعمل بجد مثل أبى. باستثناء فترة مرضه الأخير، لا أذكر أن رأيت أبى يرقد

^(٢٤) فى الصفوف الدراسية الأولى فى التعليم الابتدائى فى كوريا، يشير المعلمون إلى درجة رضاهم عن واجبات تلاميذهم المدرسية بعدد من العلامات الدائرية فى كراسات الواجب المنزلى. خمس دوائر تشير إلى الحد الأقصى من امتتان ورضا المعلم. (المترجم)

فى السرىر. عىءما كنىء طفلاً؁ كان أبى قء ذهب إلى العمل بالفعل عىءما اسنىقظء فى الصباء؁ وعىءما كنىء أذهب إلى السرىر؁ يكون هو مسىغرقاً فى قراءه شىء ما وكأنه كان سىمضى اللىل كله فى القراءة. ولم أر شخصاً ما بهذه المعرفة مىل أبى؁ كان ىجب كل أسئلى أياً كان ما أسأله عنه علوم؁ أو رىاضىاء؁ أو تاريخ؁ حتى فى آخى سنة لى فى الجامعة. لأن أبى كان ىدرس وىعمل بجد شءىء؁ لم نعانى من الجوع أبءاً؁ لكننى كنىء أندهش عىءما كبىرء. لماذا لم نكن نحباً فى مسىوى أفضل؁ حتى بالرغم من الجهد الكبير الذى ىبذله أبى؟ كان أبى غاية فى الذكاء والأناقة حتى أن أمى قء اختارته لىصبح زوجهارغم أنه كان أكبر منها فى السن بكىثر وىزوجا. كانت أمى خرىجة جامعة وكانت نىمىع بأفضل الخلفىاء المعرفىة؁ ولذلك فقء استطاعء أن نىزوج من نرىء. لكن أبى الذكى الأنىق اضطر للاختلاف مع قادة الحزب فى حىاته. كنىء أعرف منذ البءاءة. كنىء أعرف لماذا لم ىسىطع أبى أن ىتقدم للالىاق بقسم العلوم السىاسىة أو قسم العلاقاء الخارجىة فى جامعة كىم صانغ؁ ولم نكن نىسىطىع أن نعىن بالعىش؁ ولم نىسىطع أن نعلم حتى بأن نىصبح فى الوظائف العلىا فى الحزب أو من موظفى وزارة الأمن القومى. لماذا؁ لم نىسىطع أن نىقدم للحصول حتى على وظىفة فى وزارة الأمن الاجتماعى. كنىء أفهم أىضاً؁ لماذا لم ىسىطع زوج أختى؁ الذى كان قادراً وىنحدر من أبناء الطبقة العلىا؁ لم ىسىطع أن ىسىمر منذ أن

تزوج أختي. بسبب علاقات الدم التي تربط أبي بالجنوب. لولاكم، لاستطاع أبي أن يتغلب بالعمل الشاق والإخلاص على سوء ظن الحزب بالمتعلمين المرتدين عن أحزابهم السياسية وأوطانهم من الجنوب. لذلك، فلم تكن أنت وأسرّتك تمثلون لنا قيمة آدمية بقدر ما كنتم تمثلون لعنة باقية وأبدية’.

شعرت بالدوار للحظة. لقد كان انقلابًا مثيرًا للفضول. ما مثله أنا لأخي هو بالضبط ما مثله لي أبي في أيام شبابي التعس. لذلك فقد كنت أنا عقبة ولعنة بالنسبة لهم، تمامًا مثلما كان أبي بالنسبة لي. لقد اختار أبي أن يرتد ويفر إلى الشمال بمحض إرادته، لكن كان عليّ أن أتحمّل تبعات ارتداده، التي لم تكن باختيارى. ورغم أننى كنت ناضجًا بما يكفى كي أدرك أن القليل من الناس نادرًا ما يكون لهم حق الاختيار فى مسار التاريخ، فإن كلمات أخى أعطتني إحساسًا بالعيبية. لكننى استطعت أن أفهم جيدًا أسباب امتعاضه.

‘هل تعرف لماذا أتيت كي أراك؟ بصراحة، لم تكن زيارتي لتنفيذ أمنية أبى الأخيرة. لقد أثارت وصيته غيرتى. لماذا أراد أبى أن يؤرثك بالوصية أغلى أوسمته التى حصل عليها طيلة حياته؟ وماذا نمثل له نحن، إذن؟ لقد أتيت لأرى من أنت. لأرى شكل لعنتنا القديمة وحجر عثرتنا. لا، بمنتهى الصراحة، لقد أتيت لمواجهة مع عدو عمري. لكن... لحظة رأيك، لم أستطع التفكير فيك كعدو. ليس لدى توضيح، لكنك كنت... يا أخى. كنت أريدك كي أعانقك وأبكي،

لا لأوبخك وألعنك. وبعدها تعرفت عليك، تنامي داخلي شعورٌ بالخزى من عدائي لك. وبدا الأمر كأننى أتوق إلى مقابلتك طوال حياتى. لكن أين تركنا ذلك؟ من سيخفف ألامك؟ وهل ثمة سلوان لما عانيناه؟ أليس هذا كله خطأ؟ هل تعرف لماذا تحتم علينا أن نواجه كل هذا؟ هل تعرف؟'

أنا لا أعرف أيضاً، يا أخى الحبيب؛ لأننى أحسست بالضبط بكل ما شعرت به الآن، أننا ببراءة كنا سبياً فى معاناة بعضنا البعض، وأننى ذرقت الدموع على ضفة نهر التومان. كل ما أعرفه هو أن حقبة قد مضت، وأننى لابد أن أتبنى وجهة نظر مغايرة تماماً فى الحياة. أشعر بغموض أن لا أحد يستطيع أن يواجه اللوم لآخر على ما ابتلى به من معاناة، على الرغم من أن هناك من يستحقون ذلك.

لقد كذبت عليك. أنا لست فى لجنة التنظيم فى اتحاد صناعات جيمتشايك. اللجنة هى المكان الذى كنت أتمنى أن أكون فيه. أنا فقط مجرد مهندس أقوم بتصنيف الصخور والمعادن هناك. صحيح أن أختى الصغرى قد تزوجت مشرف الحزب للصناعات الخفيفة. لكنه كان أرمل يكبرها فى السن بكثير، ولديه طفلان من زوجته السابقة، أيضاً. ولم تكن تستطيع الزواج منه لو لم يكن أرمل، رغم أنها كانت عنراء جميلة ومتميزة. والأخ الأصغر، طالب فى كلية بيونج يانج للغات الأجنبية. شاب منقوق. كان يريد الالتحاق بقسم العلوم السياسية

فى جامعة كيم صانع؁ لكنه لم يستطع. وكانت حياة أبى قاسية؁ كان يقوم بإعداد الأبحاث وأعمال الهندسة المدنية تمامًا كما يأمر الحزب؁ دونما ضمان أو راحة. "جل أخذ من الدولة أكثر مما أعطاهـ" تلك كانت مجرد ملاحظة تافهة لا تستحق أكثر من أغنية شعبية. ونهايته لم تكن آمنة تمامًا؁ أيضًا. لقد أنفقنا كل ما لدينا من مال لشراء المسكنات له؁ لكن فى آخر أيامه لم نكن نستطيع شراء المزيد؁ لذا اضطررنا لمشاهدته وهو يتلوى ألما أمامنا'.

يا أخى الحبيب؁ توقف من فضلك. أنت مضطر للبقاء تحت هذا النظام لفترة أخرى قادمة. لو لم تكن تستطيع الحصول على حذاء يناسبك؁ فعليك أن تكيف قدميك مع الحذاء الموجود؁ غير أن هذا ليس ممكنًا مع الجميع. محلات الأحذية فى التاريخ يُديرها دائمًا صناع حمقى لا يتمتعون بأية مهارات. التقدميون فى الجنوب ينتقدون هذا المذهب العدمى الذى أقول به؁ لكننى أستحثك؁ بكل جوارحى؁ لأنك من دى ولى؁ ألا تتضجر من المستقبل؁ كما لا يجب أن تنظر إلى الحاضر على أنه واقع مثالى. لا ينبغي عليك أن تتورط فى ثورة لا أمل للنجاح فيها. لابد أن تنتظر. سيكون هناك مستقبل.

وكذبت بشأن أختى الكبرى أيضًا. صديقى الذى يعمل سكرتيرًا فى هيئة العلاقات الاقتصادية الدولية الذى أخبرتك عنه. ليس صديقى إنما هو زوج أختى. وقع فى غرام أختى وهو طالب؁ وتزوجا رغم كل العقبات؁ لكن كان على زوج أختى أن يعانى العديد

من السلبيات بسبب زواجه؛ هو خريج قسم العلاقات الدولية في جامعة كيم صانغ، ولكنه فقط سكرتير ثان وهو في الأربعينيات من عمره. ويعمل في الهيئة الاقتصادية. أختى الآن في بكين. لقد تقرر إجماع العائلة أنه لا يجب أن أخبرك عن مكانها في بكين. فلو حدث وحاولت رؤيتها فسوف يؤدي هذا إلى عواقب وخيمة لها ولزوجها. ولكن هنا. هذا رقم هاتفها. ابحث عنها في بكين، لو كنت تملك من الوقت ما يسمح لك بذلك. ما الأذى الذي سينشئ عنه لقاء أخ بأخته؟

سلمنى أخى قصاصة ورقية بها رقم تليفون ثم نام. حملته إلى أحد السريرين في غرفتي. وبينما كنت أخلع له ملابسه، جعلنى جاكيت بدلته حديثة الموديل أشعر بأسنى يتعذر وصفه.

وجدت صعوبة في النوم، وفي عقلي الكثير من الأشياء الجديرة بالتفكير وإعادة النظر، لكننى في النهاية استغرقت في النوم واستيقظت مبكراً في الصباح التالي. كان أخى ينام متكوماً في وضع جنينى، البطانية التى كنت قد فردتها حوله بعناية كانت قد أزيحت إلى أحد الأركان. اقتربت منه فى هدوء وغطيته ثانيةً بالبطانية. ثم عدلت الوسادة تحت رأسه، لكنه استيقظ.

تصرف أخى بمنتهى الخجل على عكس حالته وهو ثمل. ارتدى ملابسه بسرعة واستعد للرحيل. لم أحاول تأخيريه وبدلاً من

ذلك أخرجت الظرف الذى جهزته ليلاً، وأنا أفكر فى أنه ربما يكون من الأفضل له أن يغادر قبل أن يعم نور النهار أرجاء المكان.
'تفضل. خذ هذا. به ٢٦٠٠ دولار. ربما ينفعك هذا المبلغ يوماً ما'.

لم أفكر فى حتمية اختلاق حجج لعرض المبلغ. تجمد أخى فى مكانه ونظر إلىّ، ثم بدا كأنه على وشك الإفصاح عن شيء ما لكنه غير رآيه وأخذ الظرف بكلتا يديه.
'شكراً يا أخى. إلى اللقاء،' قال أخى، وهو ينحنى أمامى مثل تلميذ، وغادر الغرفة.

حسناً، ربما تكون هذه إضافة مرهقة بالفعل، لكننى أشعر بحتمية الكلام عن بكين قبل أن أنهى هذه القصة. محاولتى لمقابلة أختى التى لم أخطط لها على الإطلاق، تمخضت عنها مقابلتى مع أخى. كونى قد أصبحت شاهداً على الصراع بين رجل الوحدة ومهرب الآثار تمخض عنه أيضاً قيامى بالرحلة لمقابلة أخى، لذلك فمن الممكن ألا تكون الوحدة أى شيء سوى لم شمل الإخوة الذين كانوا غرباء يعيشون حالة من الفراق الفادح بغتة.

كانت الساعة تمام الواحدة بعد الظهر عندما هبطت طائرتنا في بكين ذلك اليوم. بمجرد أن دخلنا إلى غرفنا في الفندق طلبت الرقم الذى أخذته من أختى. ردت فتاة شابة على الهاتف، وعندما سألت عن أختى، أخبرتنى باقتضاب أنها خرجت. بدت الفتاة غاية فى الفتور والصرامة لدرجة أننى ترددت قليلاً، لكننى أعطيتها اسمى ورقم غرفتى فى الفندق وطلبت منها أن تخبر أختى بأننى أريدها أن تتصل بى.

لكن أختى لم تتصل، رغم أننى انتظرت إلى جوار الهاتف طيلة النهار. ومع شعور بالملل من الانتظار، طلبت الرقم ثانية مع دخول المساء. أجابتنى نفس الفتاة الشابة وقالت نفس الكلام. كررت المحاولة تلك الليلة، وفى صباح اليوم التالى، لكن كل مرة، كانت الفتاة الشابة ترفع السماعة على الفور، كأنها كانت تنتظر بجوار التليفون، وترد بنفس الإجابة.

كنت أقترب من وقت الرحيل. كان باقى أفراد الفوج قد تركوا الفندق قبل الخروج لزيارة مقابر أباطرة مينغ. لم أستطع أن أتخلف فى الغرفة لفترة أطول. بسرعة طلبت الرقم لآخر مرة. حينئذ فقط، ومضت فى عقلى فكرة أن صوت الفتاة له رنين مألوف. كان يشبه صوت أختى فى شبابها. أتانى صوت الفتاة الشابة عبر السماعة. استمعت إليه بإمعان، كان صوتها بالفعل يشبه صوت أختى. *أود! أهو أنت! لقد توقعت صوتاً فى منتصف العمر، لأنك كنت فى الأربعين*

من عمرك. وهذا معنى من إدراكى لصوتك على أنه صوت أختى الصغرى.

لكننى استطعت أيضا أن ألمح نبذة رفض أو مراوغة أو تملص فى صوت أختى. ربما اتصل بها أختى ونبهها بإمكانية اتصالى بها. من الممكن أن تكون مقابلتها بى مخاطرة بالفعل بالنسبة لها. ومن الممكن ألا تستطيع مقابلتى لهذا السبب، ولذلك فقد انتظرت قلقة إلى جوار التليفون لتحبطنى. جعلتنى الفكرة أتردد فى لقائها. لو كان لديها أسباب تبرر تجنبها لى، فهل ينبغى على أن أصر على لقائها؟ ومع هذا، فأنا لم أرتكب ضدها أى شئ كأخ أكبر، ولذلك لابد أننى لا أعرضها الآن لأى أذى. لكننى شعرت ببالغ الحزن لأننى سأرحل دون أن ألتقى بها. لذلك توصلت إلى تسوية.

‘من فضلك أبلغى مدام بى مانهاى عندما تعود أن أخاها من الجنوب قد اتصل بها لأنه كان يريد رؤيتها. وأنه سوف يغادر إلى سول على طائرة الساعة الرابعة، وهو آسف لأنه سيرحل دون أن يتمكن من رؤيتها لأنه لا يعرف متى سيتمكن من المجئ إلى بكين مرة أخرى. وبالطبع ليس هناك ما يضمن وجودها فى بكين عندما يأتى لزيارة بكين مرة أخرى لو استطاع. لذلك أخبريها من فضلك أن أخاها سيظل فى بهو هذا الفندق حتى الواحدة، وسيكون فى المطار من الساعة الثانية.’

بطريقة نصفها مباشر ونصفها غير مباشر، نقلت لها مشاعري وشوقى لرؤيتها لتمام اقتناعى بأن المرأة التى ترد على التليفون هى أختى، مانهاى. كان هناك فترة صمت قصيرة، ثم أُنْتُتِ إجابة المرأة. 'نعم. بالتأكيد سأخبرها عندما تعود. حسناً، صاحبك السلامة'.

أعتقد أننى سمعت رجفة خفيفة فى صوت المرأة وهى تقول صاحبك السلامة.

انتظرت ساعتين فى بهو الفندق وساعة فى المطار، لكن مانهاى لم تظهر. لذلك فقد كانت "صاحبك السلامة" التى قالتها على الهاتف هى الوداع.

'إرر، هل لى أن أطلب منك معروفًا؟' اقترب منى تاجر الأنتيكات، الذى كان يحوم حولى منذ فترة، وقال، وكأننى كنت على وشك الإقلاع عن فكرة انتظار أختى وكنت على وشك أن أرفع عيني عن مدخل المطار لأنظر إلى أفراد الفوج السياحي. كان ذهني لم يزل فى حالة من العذاب، فى صمت استدرت وألقيته بنظرة استفهام. أخرج تاجر الأنتيكات أنبوبين من الكرتون.

'أرى أنك لا تحمل معك الكثير من الأمتعة. لذلك فيل تتكرم من فضلك وتحمل معك هاتين الأنبوبتين إلى سول؟'

كاننا أنبوبتين من الكرتون من تلك النوعية التى توضع فيها الزخارف الملونة واللوحات الفنية الشرقية، النوعية التى يشتري الناس منها واحدة أو اثنتين أثناء رحلاتهم إلى الصين. لذلك نظرت إليه، نظرة إلى حد كبير مفادها لماذا طلب منى أن أحمل مثل هذه الأشياء الشائعة؟ ثم قال، بابتسامة مندهشة:

‘سأكون أميناً معك. الأنبوبتان مجرد مشتريات سياحية شائعة، ولكن ما بداخلها عبارة عن لوحات من إبداع يوسيوجي. هل سمعت بهذا الاسم المستعار؟’

‘يوسيوجي؟ لا أظن.’

‘لقد كان من مبدعى رسم المناظر الطبيعية من أواخر عهد يي دايئاستى. بعض قطعه الفنية فى غاية الإتقان والروعة. لوحتان من إبداعه فى رسم المناظر الطبيعية فى هاتين الأنبوبتين.’

غمز لى تاجر الأنبيكات، وكأنه يوطد اشتراكنا فى الجريمة. أخذت الأنبوبتين على مضض. ثم بشرود، نظرت فى أنحاء صالة الانتظار بالمطار. استوقف عيني شخص. كان رجل الوحدة، يجلس وحده فى ركن قصى، رغم هذا، كان كل أفراد الفوج الآخرين يتجاذبون أطراف الحديث ويضحكون بابتهاج، وكأن المطار ضمن ممتلكاتهم. بدا مكتئباً، أو غافلاً عن كل شيء بسبب ما به من كرب.

‘ليس ثمة عجب. إنه يواصل عمله، ويعطى وعودًا فارغة، ويتفاخر بكل ما يستطيع القيام به. حينئذٍ قدم أحد المقيمين الكوريين دعوة كريمة بالطعام والشراب على نفقته قبل أن يسمع حتى ولو كلمة من الرجل بعد أن عاد إلى سول، كي لا يقول شيئًا عن تلقيه للدعوة الموعودة، ألقى بالأطباق على صاحبنا أثناء إلقائه كلمة. اعتقد أن هذا لم يكن عدلاً بالنسبة له، ولكنه يستحق ذلك بطريقة ما أيضًا، لأنه يتجول في الأماكن ويطلق بيانات بلاغية فارغة. ألم يتعلم أى شيء من انهيار أوروبا الشرقية؟ كنت أعرف أنه سيتلقى هذا في وقتٍ ما، همس تاجر الأنتيكات في أذننى، وقد لاحظ اتجاه عينى. تذكرت بقع ورائحة الطعام على قميصه وجاكته بدلته فى اليوم السابق. لكننى لم أشعر بالسرور. على النقيض من هذا، تفرزت من تاجر الأنتيكات وابتهاجه الخبيث وأشحت بوجهى بعيدًا. فى هذه اللحظة بالضبط، اندفع مرشدنا السياحى صوبنا، وهو يمسح العرق عن جبهته.

‘الصعود على متن الطائرة سوف يبدأ فى غضون خمس دقائق. خذوا جوازات سفركم أيها السيدات والسادة!’

المؤلف فى سطور:

لى مون يول

وُلد المؤلف لى مون يول فى منطقة يونج يانج بمحافظة كيونج بوك عام ١٩٤٨ ولم يكمل دراسته فى كلية التربية بجامعة سيول الوطنية. وبدأت حياته كمؤلف من خلال نشر عمله الأول بعنوان "أغنية ساي ها" فى جريدة "دونج آه" فى عام ١٩٦٥.

وأسلوبه فى صياغة القصة معروف بأنه مركز على وصف هموم الإنسان، والشحذ الفكرى فى فترة الشباب، والعلاقات بين الله والإنسان وبالإضافة إلى ذلك فإنه تناول الموضوعات المتنوعة وأدخلها فى أعماله وبخاصة حياته كفنان وشطر الكورييتين والمشكلات الأيديولوجية وطاقته القائمة على الخيال...إلخ.

وله عدد من المؤلفات، منها:

"ولد الإنسان" و"بطلنا المزيف" و"أريرانج كورو" وكذلك له الروايات الطويلة، من بينها "شكل وجوه الصغار" و"من أجل الإمبراطور" و"عصر البطل" و"الاختيار" إلخ. وكتب رواية جاءت بعنوان: "الحدود" وقد عبر فيها عن الشعب الكورى وتاريخه بعد الحرب الكورية منطلقا من النسيج المتماسك للأسرة الكورية.

المترجم فى سطور:

د. كيم چونج ميونج

- سنة ١٩٩٣: حصل على البكالوريوس فى قسم اللغة العربية بجامعة هانوك للدراسات الأجنبية بسيول، كوريا.
- سنة ١٩٩٤: حصل على الماجستير فى شعبة الفلسفة الإسلامية بجامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.
- سنة ٢٠٠١: حصل على الدكتوراه فى شعبة الفلسفة الحديثة بجامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب.
- أستاذ فى قسم دراسات الشرق الأوسط والإفريقية بالمدرسة العليا بجامعة هانوك للدراسات الأجنبية بسيول، كوريا.
- مدير الشؤون الثقافية فى المركز الكورى للثقافة العربية والإسلامية.

المراجع فى سطور:

طاهر البربرى

كاتب ومترجم مصرى صدر له:

- فى مجال التأليف

١- توقيعات على جسد المساء (شعر) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٩٩٧.

٢- مدن فارهة للنسيان (شعر) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.

٣- قنص الأحلام (رواية) طبعة أولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣.

٤- ظلالهم كانت هنا (رواية) دائرة الشارقة للثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٥.

- فى مجال الترجمة:

١- أرض المساء وقصائد أخرى، مختارات من شعر ديفيد هيربرت لورانس، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.

٢- إله الأشياء الصغيرة، الرواية الفائزة بجائزة بوكر ١٩٩٧،
للكاتبة الهندية أرونداتي روي، ميريت للنشر والمعلومات،
القاهرة ٢٠٠٣.

٣- من لا عزاء لهم، (رواية) كازو إيشيجورو، المشروع القومي
للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥.

٤- عندما كنا يتامى، (رواية) كازو إيشيجورو، المركز القومي
للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨.

